
رجل المستحيل
سباق الموت

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات .. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل ، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات الحربية ، لقب (رجل المستحيل) .

د. نبيل فاروق

١ ــ المطاردة ..

تصاعدت فقاعات الهواء إلى سطح البحر الأحمر ، قبل أن يبرز من تحت الماء رجلان فى ثياب الغوص .. كان أحدهما ممتلئ الجسم قليلًا ، والآخر طويل وسيم عريض المنكبين .. صعد الممتلئ إلى سطح الزورق البخارى الذى ينتظرهما وهو يسبّ ساخطًا .. وبهدوء تبعه الطويل ووقف هادئًا ، ينزع عن كتفيه أنبوبتى الأكسوجين الخاصتين بالغوص ، على حين أخذ الممتلئ يصيح بغضب :

ــ هذا الرجل مجنون .. لن أصحبه إلى الغوص مرة ثانية أبدًا .. فليبحث عن مدرّب آخر إذا ظل مصرًا على الاستمرار فى تدريبات الغوص .. إنه مجنون ، أحمق .

ابتسم النقيب بحرى (شوقى حسين) الذى يقود الزورق البخارى ، وقال وهو يربّت على كتف البدين محاولًا تهدئته :

— لقد سبق أن أخبرتك يا زميلى العزيز أن هذا الرجل من نوع خاص ، وهذا قبل أن تبدأ فى .....

قاطعه الممثل بصوت غاضب :

— ولكنك لم تخبرنى أنه نوع خاص من الجنون .. لا .. لن أصحبه إلى الغوص ثانية أبدًا .

قال النقيب (شوق) محذرًا الرجل الممثل :

— احترس أيها النقيب (مصطفى) .. هل نسيت أن هذا الرجل الذى تتهمه بالجنون يفوقك برتبتين ؟

ضغط النقيب (مصطفى) على أسنانه وصمت ، على حين تكلّم الرجل الطويل ، الذى كان قد انتهى من نزع ملابس الغوص ، فقال بصوت هادئ :

— لا تذكر ذلك مطلقًا أيها النقيب (شوق) .. عندما حضرت إلى هنا لتلقى تدريبات الغطس طلبت من النقيب (مصطفى) أن يتجاهل تمامًا رتبتى ، ويذكر فقط أننى تلميذه فى دروس الغوص ، وإلا ما استطاع إفادتى بالدرجة المطلوبة ، وما زلت مصرًا على طلبى هذا .

غمم النقيب (مصطفى) ببضع كلمات غاضبة ، ولكن يبدو أنه لم يستطع كتمان غيظه ، إذ اندفع فجأة يقول للنقيب (شوق) بحدّة :

— هل رأيت فى حياتك كلها رجلًا يطارد سمكة قرش مفترسة ، بدلًا من أن تطارده هى ؟

ارتفع حاجبا النقيب (شوق) بدهشة ، على حين علت ابتسامة شفتى الرجل الطويل ، الذى ارتكن إلى حاجز الزورق بلا مبالاة ، يستمع إلى النقيب (مصطفى) وهو يصيح :

— لقد كنا نسبح تحت الماء بهدوء ، عندما شاهدنا سمكة من نوع القرش الأبيض المفترس ، وكدت أتنهد ارتياحًا عندما شاهدتها تبتعد دون أن تهاجمنا .. كان من الواضح أنها لم تلاحظنا أو أنها متخمة بالطعام .. وفجأة شاهدت هذا المجنون .. أقصد هذا الرجل يسبح باتجاهها ، ممسكًا ببندقية الصيد .. وعندما حاولت منعه تجاهلنى تمامًا .. وظل يطاردها بإصرار .. ولست



علت ابتسامة على شفتى الرجل الطويل ، الذى ارتكن
إلى حاجز الزورق بلا مبالاة ..

أدرى لماذا أخذت هذه السمكة الضخمة تهرب وهو يطاردها ؟ .. لا بد أن غريزتها قد أوحت إليها أنه مجد .. أقصد مصرًّا على صيدها ..

ابتسم النقيب (شوقى) وهو يختلس النظر إلى الرجل الطويل الذى بدأ فى ارتداء ملابسه ، ثم التفت إلى زميله النقيب (مصطفى) وقال :

ــ وربما أرشدتها غريزتها إلى أن غريمها ليس رجلًا عاديًا ، وإنما هو المقدم (أدهم صبرى) .

قطَّب (مصطفى) حاجبيه ، وقال بعناد :

ــ حتى لو كان يحمل رتبة مقدم .. لن أواصل الغوص بصحبته . فليبحث عن مدرِّب غوص آخر .

ابتسم (أدهم صبرى) ، وقال بهدوء :

ــ وهل تعتقد أنك ستجد تلميذًا نجيبًا مثلى ، يستوعب دروس الغوص بهذه السرعة ؟ ألم تخبرنى بلسانك أننى موهوب فى هذا المجال ؟

أشار إليه (مصطفى) بسبابته وهو يقول بحدة :

ـ ولكنك فى اليوم الأول خالفت تعليماتى ، وهبطت إلى عمق يزيد على الخمسين قدمًا ، برغم أننى حذرتك من ذلك .. واليوم تطارد سمكة متوحشة .. ما الذى تنوى فعله فى المرة القادمة ؟

وقبل أن يجيبه (أدهم) سمع الجميع صوت صفارة جهاز الإرسال الموجود بالزورق .. أسرع النقيب (شوقى) إلى الجهاز ، وقال متحدثًا فى بوقه :

ـ هنا (الدولفين) .. أسمعك بوضوح .. حوّل .

وبعد فترة من الصمت قال :

ـ حسنًا .. سنكون فى ميناء الغردقة بعد عشر دقائق تقريبًا .

ثم أغلق الجهاز ووضع المسماع ، والتفت إلى النقيب (مصطفى) والمقدم (أدهم) وقال :

ـ يبدو أنهم يطلبونك على الشاطئ يا سيدى المقدم .. لقد أمرونا بالعودة فى الحال .. وبسرعة .. يقولون إن الأمر عاجل جدًا .

* * *

٢ ـ سباق المخابرات ..

أشار مدير المخابرات الحربية إلى مقعد أمام مكتبه ، وقال وهو ينظر إلى (أدهم) :

ـ اجلس يا (أدهم) واستمع إلىّ جيدًا .. لقد طلبت إحضارك بسرعة من الغردقة ، قاطعًا تدريبات الغوص التى تمارسها من أجل مهمة عاجلة وخطيرة .

جلس (أدهم) بهدوء ، وأخذ يستمع إلى مدير المخابرات الذى استطرد قائلًا :

ـ الأمر يتعلق هذه المرة بعملية سرقة .. سرقة تصميم علمى لسلاح خطير .

استمع (أدهم) باهتمام عندما تابع المدير قائلًا :

ـ سأشرح لك الأمر بالتفصيل .. صباح اليوم اغتيل الدكتور (ألفريد جورج) ، عالم الطاقة الشهير .. ومن المعروف أنه كان يعمل لتصميم سلاح جديد ، يعدّ من أخطر أسلحة القرن العشرين .. ولقد

أصبح واضحًا أن اغتياله كان بسبب الحصول على هذا التصميم .. تحرياتنا تؤكد أن أحدًا لم يحصل على هذا التصميم حتى الآن ، فقد أخفاه الدكتور (ألفريد) فى مكان غامض .. ولما كان يعمل وحده فإن الطريقة الوحيدة لمنع وقوع هذا التصميم فى يد دولة معادية هى الحصول عليه قبل مخابراتها ، وهذه هى مهمتك أيها المقدم .. الحصول على التصميم أو .. إعدامه .. المهم ألا يقع فى أيدى أعدائنا .

اعتدل مدير المخابرات فى مقعده واستطرد :

ــ هذا الأمر سيكون بمثابة سباق رهيب .. النصر كل النصر للفائز ، والهزيمة كل الهزيمة للآخرين .. ومن الجدير بالذكر أن مخابرات ثلاث دول أخرى تبحث عن التصميم فى نفس الوقت .

قال (أدهم) بهدوء :

ــ هذا يعنى أننى إما أن أنجح فى الحصول على التصميم وإحضاره إلى مصر ، وإما أن أدمّره وأمنع الجميع من الحصول عليه .

أشار المدير بالسبابة وقال :

ــ بالضبط .. وسوف تستقل الطائرة المسافرة إلى (إنجلترا) بعد ساعة واحدة من الآن .. وبالمناسبة .. سوف ترافقك الملازم (منى توفيق) فى هذه المهمة .

ضغط (أدهم) على أسنانه بغيظ وقال :

ــ أليس من الأفضل أن أعمل وحدى يا سيّدى ؟ أنت تعلم المتاعب التى سببتها لى فى (باريس) .

صاح المدير بنفاد صبر :

ــ أية متاعب ؟ لقد قلت بنفسك فى تقرير مهمة (باريس) ، أنها ممتازة كمبتدئة .. أليس كذلك ؟

قال (أدهم) بضيق :

ــ هذا صحيح يا سيّدى ولكن ....

قاطعه المدير قائلًا :

ــ لست مستعدًا لمناقشة هذا الأمر أيها المقدم .. سترافقك الملازم (منى) كما أمرتك .. اثنان أفضل من واحد بالتأكيد .

قال (أدهم) مستسلمًا بضيق :

ـ أمرك يا سيّدى .

ثم قال لنفسه :

ـ اثنان أفضل بالتأكيد عندما يكونان رجلين .. لا رجلاً وفتاة .

أعقب هذا بأن نهض واقفًا وقال :

ـ هل تسمح لى بالانصراف يا سيّدى .. أريد إعداد حقيبتى والقيام ببعض الإجراءات الضرورية .

أومأ مدير المخابرات موافقًا وهو يشير لـ (أدهم) بالانصراف .. وقبل أن يبلغ باب المكتب ناداه المدير قائلاً :

ـ خذ حذرك هذه المرة أيها المقدم ، ولا تنس أنك عضو فى سباق ، تنافسك فيه مخابرات ثلاث دول .. ولا مجال للرحمة أو التهاون فى عمل المخابرات .

ابتسم (أدهم) وقال :

ـ سنفوز فى هذا السباق يا سيّدى .. أعدك بذلك .

وما أن أغلق (أدهم) الباب وراءه حتى ابتسم مدير المخابرات وقال :

ـ أنا واثق من ذلك أيها المقدم ، فأنت أصلح رجل للمهام المستحيلة .

غادر (أدهم) مكتب مدير المخابرات ، ثم اتجه إلى الطابق السفلى من مبنى المخابرات الحربية إلى غرفة تحمل الرقم (خمسة) ، وما أن دخلها حتى هبّ رجل بدين مكتظ الوجه ، يحيّيه قائلاً :

ـ المقدم (أدهم صبرى) .. مرحبًا .. منذ أربعة شهور لم تدخل معملى .. كيف حالك ؟

ابتسم (أدهم) وهو يصافح الرجل قائلاً :

ـ فى خير حال يا (قدرى) .. أرى أنك ازددت بدانة عمّا قبل .

ضحك (قدرى) بمرح وقال :

ـ هذا بسبب الجلوس الطويل والغذاء الشهى يا صديقى .

ثم قال بصوت خافت ، وهو يبتسم بخبث :

ــ ألم تتزوج حتى الآن ؟ لو أنك فعلت لما ظل جسمك نحيلاً هكذا .

قال (أدهم) بجدية وهو يتطلع إلى ساعته :

ــ للأسف ليس عندى الوقت الكافى لمبادلتك هذه الدعابات يا صديقى .. فأنا مسافر إلى لندن بعد أقل من ساعتين ، وأحتاج إلى أحد تحفك الفنية .

تناول (قدرى) آلة تصوير صغيرة بجواره ، وهو يقول :

ــ أنا فى خدمتك أيها المقدم .. كيف تريدها هذه المرة ؟

تلفت (أدهم) حوله وقال :

ــ هل لديك الأدوات اللازمة ؟

ضحك (قدرى) وقال :

ــ عندى كل شىء كالعادة .. ولكن عليك بالإسراع وإلا رحلت الطائرة بدونك .

بعد حوالى خمس دقائق كان (أدهم) يدخل إلى الغرفة رقم (عشرة) ، وهو يمسح وجهه بمنديل أزرق .. وقف الرجل الذى بداخل الحجرة ، وقال بابتسامة :

ــ مرحبًا يا سيادة المقدم .. كيف حالك ؟

قال (أدهم) بابتسامة :

ــ بخير .. هل لديك جديد هذه المرة ؟

ابتسم الرجل وقال :

ــ بالطبع .. وأعتقد أن الذى لدىَّ سيعجبك هذه المرة .

نظر (أدهم) فى ساعته ، ثم قال للرجل :

ــ أتعشم ذلك ، فلم يعد لدىَّ الوقت الكافى للانتقاء .

خرج (أدهم) من الغرفة رقم (عشرة) بعد ربع ساعة .. وما أن أغلق الباب خلفه حتى ابتسم الرجل

الجالس بداخلها بإعجاب ، وقال محدثًا نفسه بصوت عالٍ :

— يا له من رجل !! إنه يستحق عن جدارة لقب .. رجل المستحيل .

* * *



٣ — بداية الصراع ..

صعد ركاب طائرة مصر للطيران بهدوء إلى طائرتهم ، وما أن جلس (أدهم) على مقعده حتى قال للفتاة الجالسة بجواره :

— مرحبًا أيتها الملازم .. هل أحضرت أدوات مكياجك ؟

ابتسمت (منى) وقالت :

— برغم هذا الأسلوب الجاف الذى تعاملنى به يا سيادة المقدم ، فأنا سعيدة بأننا عدنا للعمل سويًا .. من دواعى فخرى أن أعمل مع (ن — ١) .

ضغط (أدهم) على أسنانه وهو يحكم رباط حزام مقعده ، وقال :

— من الأفضل أن تقولى ذلك فى ميكروفون الطائرة ، حتى يعلم الجميع أننى ضابط مخابرات مصرى .

اصطبغ وجه (منى) بحمرة الخجل ، وهى تقول بصوت هامس :

ـــ آسفة يا سيادة المقدم .. لقد نسيت نفسى لحظات .

قال (أدهم) ببرود دون أن يلتفت إليها :

ـــ فى مهنتنا نخسر الكثير بسبب لحظة سهو .. حاولى أن تكونى أكثر حرصًا أيتها الملازم .

أطرقت (منى) بحرج ، وساد بينهما الصمت حتى أقلعت الطائرة ، وحلّ كل منهما حزام مقعده ، ثم التفت إليها وقال :

ـــ أريد التزامًا كاملًا بالخطة هذه المرة أيتها الملازم ، ولا داعى لهذه الخطوات الفرعية التى تتخذينها بمفردك .

ابتسمت (منى) بخبث وقالت هامسة :

ـــ احترس يا سيادة المقدم ، فلو سمعك أحد تلقبنى بالملازم ، لاستنتج أننى أعمل فى المخابرات ، أو على الأقل فى الشرطة .

ابتسم (أدهم) بالرغم منه ، وقال :

ـــ حسنًا .. لقد أصبحت سرعة استيعابك للدروس كبيرة .

ثم تحوّلت لهجته إلى الجدّية وهو يقول بصوت خافت :

ـــ سنقيم فى فندق (ويجنت) فى قلب مدينة (لندن) بأسمائنا الحقيقية .. سأنزل هناك كرجل أعمال مصرى كالعادة ، أما أنت فستكونين سكرتيرتى الخاصة ، وينبغى أن نتوخى الحرص جدًا .. وليكن معلومًا لديك أن أمرنا سينكشف حتمًا ، ما دمنا سننضم إلى سباق البحث عن التصميم الذى وضعه الدكتور (ألفريد) .. وأن هذه المهمة من أخطر المهمات التى واجهتنى حتى الآن ؛ لأنه من المفروض أن أواجه مخابرات ثلاث دول ، وأنا أعلم جيدًا أن تلك الدولة الصغيرة التى نواجهها باستمرار ستنضم إلى السباق ، وربما كانت تعمل تحت لواء إحدى الدول

الثلاث كعادتها .. باختصار .. ينبغى أن تكون تحركاتنا كلها مدروسة بدقة وعناية ، ولا مجال هنا للخطأ أو السهو .

أشارت (منى) برأسها علامة الفهم ، فاعتدل (أدهم) فى مقعده ، وأخرج بعض الأوراق من حقيبته ، وبدأ مراجعتها باهتمام .. خيّم عليهما الصمت ، وأخذت (منى) تتطلع من نافذة الطائرة إلى البحر المتوسط ، وسرعان ما أغلقت عينيها ، واستغرقت فى النوم حتى أيقظها (أدهم) وهو يبتسم قائلاً :

ـ هيًا يا (منى) .. عليك بربط حزام مقعدك .. ستهبط الطائرة بعد قليل .

ثم أردف وهو يعتدل :

ـ نومك دليل على قوة أعصابك ، أو ... عدم استيعابك لخطورة الموقف .

لم تمض نصف ساعة ، حتى كانت سيارة الأجرة التى أقلتهما من مطار (هيثرو) قد وصلت إلى فندق

(ويجت) .. أسرع عاملو الفندق فى حمل حقيبتهما إلى حيث موظف الاستقبال ، الذى تناول جوازَىْ سفرهما وهو يقول مرحبًا :

ـ مرحبًا بكما فى المملكة يا مستر (صبرى) ويا مس (منى) .. سنوفر لكل منكما جناحًا جميلاً ، ونرجو أن تكون إقامتكما فى فندقنا ممتعة .

ثم ناولهما جوازَىِ السفر بعد أن انتهى من تدوين بياناتهما ، وسرعان ما صعدا إلى جناحيهما .. وما أن استقر (أدهم) فى جناحه حتى أخرج من حقيبته صندوقًا صغيرًا ، وأخذ يتفحّص محتوياته بعناية ، ثم تناول الهاتف واتصل بإدارة الفندق ، وقال :

ـ أريد استئجار سيارة سبور سريعة .. نعم أحتاج إليها لإنجاز بعض الأعمال .. فليكن .. نعم .. أريدها فى الحال .

وما أن أنهى الاتصال حتى عاد ليتصل بالجناح الذى تقيم به (منى) ، وما أن سمع صوتها حتى قال :

ـ هل انتهيت من إفراغ حقيبتك ؟. سوف نخرج بعد قليل لإنجاز بعض الأعمال .

قالت (منى) بتخاذل :

ـ ألا يمكننا الحصول على بعض الراحة ؟

أجابها (أدهم) ، وقد ظهر الغيظ واضحا فى نبراته :

ـ لا وقت للراحة .. يجب أن نحاول إنجاز هذه الصفقة فى أقرب وقت ممكن .. ولا تنسَىْ أن ثلاث شركات كبرى تنافسنا فى الحصول عليها .

أسرعت (منى) تقول ، وقد لاحظت نبرات الغيظ فى لهجة (أدهم) :

ـ بالطبع يا سيّدى .. سأكون مستعدة بعد خمس دقائق على الأكثر .

وبعد خمس دقائق بالفعل ، كانت (منى) تجلس مع (أدهم) فى ردهة الفندق ، وكان الغضب يبدو واضحا على ملامح (أدهم) ، وهو يقول لموظف الاستقبال :

ـ كيف لم تصل السيارة التى طلبتها حتى الآن ؟.. ربما أخطأت بالإقامة هنا فى فندقكم .

قال موظف الاستقبال بلهجة تجمع بين الأدب والبرود الإنجليزى الشهير :

ـ الطريق من مكتب السيارات الذى نتعامل معه حتى هنا ، يحتاج إلى عشر دقائق يا سيّدى .. وستكون السيارة هنا بعد ثلاث دقائق بالضبط من الآن .

وبالفعل كانت السيارة التى طلبها (أدهم) أمام الفندق بعد ثلاث دقائق بالضبط .. كانت من النوع الأمريكى المعروف باسم (ترانس أم) وهى من السيارات السريعة التى تم تعديلها ، بحيث انتقل مقودها إلى الناحية اليمنى ، بحسب نظام المرور المتبع فى المملكة المتحدة بأسرها ، وهى تتسع لراكبين فقط .

ألقى عليها (أدهم) نظرة سريعة .. كانت تتفق مع النوع الذى يفضله فى القيادة ، وسرعان ما استقلها هو وزميلته وانطلق بها ، وقال موجها حديثه إلى (منى) :

— يعجبنى فى السيارات الإنجليزية أن عجلة قيادتها إلى اليمين ، وهذا يتيح لى القيادة واستخدام يدى اليمنى فى إطلاق النار فى آن واحد .

ابتسمت (منى) ابتسامة خفيفة ، ثم سألته باهتمام :

— إلى أين نحن ذاهبان بالضبط ؟

أجابها (أدهم) دون أن يبعد بصره عن الطريق :

— إلى الريف الإنجليزى الشهير .. استمعى إلىّ جيدًا .. من المؤكد أن الدكتور (ألفريد) قد أخفى التصميم فى أحد الأماكن التابعة له .. وهى لا تتعدّى منزله فى أكسفورد ، أو منزله الريفى القريب من (لندن) ، أو يخته البخارى الصغير ، أو معمله .. الاحتمال الباقى أن يكون قد أودعه صندوقًا فى أحد البنوك ، أو عند أحد المحامين .. ومهمتنا هى بحث هذه الاحتمالات جميعًا .. ولقد فكّرت أن نبدأ بالبحث فى منزله الريفى ، فلقد كان يعشق الريف .

سألته (منى) بدهشة :

— وكيف سنبحث فى المنزل الريفى ؟ وهل سيسمحون لنا بذلك ؟

ابتسم (أدهم) ابتسامة ساخرة وهو يقول :

— ومن قال إننا سنطلب الإذن بذلك ؟

ثم ضغط دوّاسة البنزين ، وزاد من سرعة سيارته عندما وصل إلى بداية طريق الريف الإنجليزى ..

فى نفس اللحظة فى الفندق وفى حجرة جانبية صغيرة ، وقف موظف الاستقبال الإنجليزى أمام رجل نحيل أجدع الأنف كمعظم بنى جنسه ، أصلع الرأس عدا سالفيه الممتلئين بالشيب .. ضيق العينين ..

كان هذا الرجل ممسكًا بورقة صغيرة يقرؤها وقد قطّب حاجبيه .. وما أن انتهى منها حتى ألقاها جانبًا ، وفرد قامته الطويلة ، ونظر إلى موظف الاستقبال بعينين فيهما خبث الثعالب ، وشراسة الذئاب ، وابتسم ابتسامة صفراوية وهو يقول بخبث :

— (أدهم صبرى) ! ... يا للمصادفة !! إنه رجل المخابرات المصرى الذى تسبب فى عزل شقيقى (إليعازر) .. إذن فقد دخلت المخابرات المصرية السباق .

وازدادت عيناه ضيقا وهو يقول :

— لن تتسع الساحة لمخابراتنا والمخابرات المصرية معًا .. لا بد أن يتنحى أحدنا .

قال موظف الاستقبال باهتمام :

— لا بد أن نسرع فى الحصول على التصميمات قبل أن يصل إليها غيرنا يا مستر (حاييم) .

احتقن وجه الرجل ، وصاح فيه بغضب :

— لا تذكر اسمى مرة ثانية .. هل سمعتنى ؟ سأقتلك لو فعلتها مرة أخرى .

ارتعد موظف الاستقبال ، وقال بارتباك وذعر :

— أنا آسف .. آسف جدًا يا سيدى .. أنا ....

قاطعه (حاييم) قائلا :

— اصمت ، ودعنى أفكر بهدوء .

صمت موظف الاستقبال برعب ، وهو يتطلع إلى (حاييم) الذى أطرق مفكرًا ، وما هى إلا لحظات حتى رفع رأسه ، وقال بابتسامته الخبيثة :

— أنا أكره خوض السباقات .. بدلًا من أن أسرع بالحصول على التصميم ، سأخلى الساحة أولا ..

نظر إليه موظف الاستقبال فى تساؤل ، فمال على مقعده وأغلق عينيه بهدوء ، وقال :

— سنتخلص من الضابط المصرى المدعو (أدهم صبرى) وزميلته .. سآمر بتصفيتهما فى الحال .

* * *

٤ ـ قتال فى الريف ..

وقفت (منى) بتوتر تتلفت حولها ، على حين وقف (أدهم) بجوارها هادئًا ، وقد أمسك أمام عينيه بمنظار مقرِّب ، يوجهه نحو المنزل الريفى الذى كان يملكه الدكتور (ألفريد جورج) .. ثم ناولها المنظار وهو يقول :

ـ هذه هى غايتنا .. منزل ريفى مكوَّن من طابقين ، وله مدخل رئيسى يمر بالحديقة ، ومدخل خلفى صغير .. ومن الواضح أنه خالٍ فى الوقت الحاضر .

ثم نظر فى ساعته وقال :

ـ سيحلّ الظلام بعد أقل من ساعة ، وعندما يحدث ذلك سندخل إلى المنزل ، ونقوم بتفتيشه .

قالت (منى) مداعبة :

ـ تقصد سنقوم بسرقته كاللصوص .

نظر إليها (أدهم) بضيق أشعرها بالحرج ، ثم قال



بلهجة خافتة :

ــ سأطلق عليها اسم السرقة ، لو أننا وفقنا فى الحصول على التصميم .. أما لو لم يحدث ذلك ، فتصبح مجرد زيارة ليلية .

ثم عاد ينظر إلى المنزل غير منتظر لتعليقها ، ولم تحاول هى ذلك بل التزمت الصمت ، وقد شعرت ببعض الحرج والضيق .. وفجأة .. تحوّل ضيقها إلى غضب ، وحرجها إلى عناد ، فالتفتت إلى (أدهم) وقالت :

ــ سيّدى المقدم .. ألا تعلم أننى قد اجتزت اختبار القبول فى المخابرات الحربية بنجاح وبدرجة ممتاز ؟

التفت إليها (أدهم) بدهشة ، فتابعت بنفس اللهجة الغاضبة :

ــ وأن تدريباتى فى قطاع مكافحة الجاسوسية كانت على أرق مستوى .. وأن نتائجها كانت ممتازة .. وأننى أجيد مثلك استخدام جميع أنواع الأسلحة و ....

قاطعها (أدهم) بلهجة ساخرة قائلاً :

ــ وماذا عن تدريباتك العملية أيتها الملازم ؟ كم مهمة قمت بها ؟ هل تم تدريبك على خلط المشاعر الشخصية بظروف العمل ؟ أم أن هذا يرجع إلى نقص فى الخبرة ؟

كانت عبارات (أدهم) لاذعة ، حتى أن (منى) صمتت تماما ، ولم تستطع التفوّه بكلمة واحدة ، واحتقنت الدماء فى وجهها بشدة ، وكادت الدموع تفرّ من عينيها .. ولكن (أدهم) لم يلتفت إلى كل هذا ، وإنما عاد يتطلّع إلى ساعته ، ويقول بلا مبالاة :

ــ بعد عشرين دقيقة من الآن سنذهب سيرًا على الأقدام إلى المنزل الريفى .. وحتى ذلك الحين لن نتحدث إلا فيما يخص العمل .

ثم أودع كفّيه فى جيبى معطفه ، ولم تفارق عيناه المنزل الريفى .

كان الظلام يزحف على تلك المنطقة الريفية الهادئة ، عندما أشار (أدهم) إلى (منى) وقال بصوت منخفض :



وما أن أغلق الباب خلفه حتى أخرج مسدسه وأمسك به بيمناه ،
على حين أضاء مصباحًا كهربائيًا صغيرًا فى يسراه ..

ـ هيا .. سنبدأ عملنا الآن .

تسللا إلى المنزل الريفى بهدوء ، واجتازا السور الشائك ، ثم عبرا الحديقة إلى الباب الخلفى الصغير .. ووقفت (منى) تراقب الموقف ، على حين أخذ (أدهم) يعالج قفل الباب بهدوء ومهارة ، إلى أن انفتح محدثًا تكة صغيرة ، ثم دلف إلى الداخل وتبعته (منى) .. وما أن أغلق الباب خلفه حتى أخرج مسدسه وأمسك به بيمناه ، على حين أضاء مصباحًا كهربائيًا صغيرًا فى يسراه ، وأخذ يتحرك بخفة وسرعة ، ويجوس فى أنحاء المنزل الواسع باحثًا عن التصميم ..

بحث (أدهم) و (منى) فى كل مكان يمكن أن يخفى فيه الدكتور (ألفريد) تصميمه السرّىّ .. وبعد أكثر من ثلاث ساعات قال (أدهم) بهدوء :

ـ من الواضح أن التصميم ليس هنا .

قالت (منى) بصوت متعب :

ـ أستطيع أن أؤكد هذا أنا أيضًا ، بعد هذا

البحث الدقيق الذى أجريناه

ثم جلست على مقعد ضخم ، وقالت وهى تشير إلى بركة صغيرة فى منتصف الحجرة :

ــ انظر إلى هذا المشهد الرائع .. بركة من الرخام الأبيض فى منتصف الغرفة ، وفى وسطها نافورة جميلة تمثل عروس البحر .. لا بد أن الدكتور (ألفريد) كان يحمل مشاعر فنان رقيق .

تجاهل (أدهم) عبارتها ، وقال :

ــ أين يمكن إخفاء هذا التصميم يا ترى ؟

جاءهما فجأة صوت أجش ، يقول بلهجة باردة وبلغة إنجليزية ركيكة :

ــ إنه ليس هنا على أية حال .

قفز (أدهم) شاهرًا مسدسه ، ولكن الضوء ملأ الردهة فجأة ، وشاهد (أدهم) ثلاثة رجال يحملون المدافع الآلية،ويصوّبونها إليه وإلى زميلته .. كانت ملامح الرجال الثلاثة تؤكد أنهم من الشرق الأقصى ، حيث

الثلوج شديدة البرودة ، والمساحات شاسعة متسعة .. وكان من الواضح أن الرجل السمين الواقف فى المنتصف هو أكثرهم سلطة ؛ لأنه تحدث بعجرفة وقال :

ــ أنتم من المخابرات المصرية بلا شك ؛ لأنكم تتحدثون العربية .. أليس كذلك ؟

خفض (أدهم) مسدسه .. لم تكن هناك فائدة منه ، أمام ثلاثة مدافع آلية مصوّبة ، ومستعدة للانطلاق عند أول بادرة للمقاومة ، وابتسم وهو يقول :

ــ من الواضح أنك تفهم العربية ، وإلا ما أجبتنى بالإنجليزية الركيكة التى تستخدمها .

قال الرجل بعجرفة وضيق :

ــ ستجيب عن أسئلتى فقط أيها الرجل .. ليس لك حق السؤال .. عليك أن تلقى بمسدسك هذا أولا .

بسط (أدهم) قبضته ، فسقط المسدس تحت قدميه ، ثم ابتسم وقال للسمين :

ـ من المؤسف أنك حضرت فى نفس اللحظة التى توصّل فيها ذهنى إلى مخبأ التصميم .

نظر إليه الرجل بنظرة شك ، وقال :

ـ لقد كنت تسأل نفسك منذ لحظات عن مكان وجوده .. هل تظنّنى غبيًا لتخدعنى بعبارتك هذه ؟

هزّ (أدهم) كتفيه بلا مبالاة ، وأشار إلى البركة الصغيرة ، وقال :

ـ أراهن أنكم لم تقوموا بتفتيش هذه البركة ولا بفحص نقوشها .. هل سمعت عن الميكروفيلم يا صديقى ؟ إنه فيلم حسّاس له حجم صغير جدًا ، حتى أنه يمكنك أن تخفيه فى ساعتك .

برقت عينا السمين ، وأخذ ينقل بصره بين (أدهم) والبركة ، ثم أشار إلى رجليه ، وقال لهما :

ـ افحصا البركة جيدًا .. لو أن هذا الرجل يعبث بنا سأطلق عليه النار فى الحال .

هبط الرجلان إلى البركة ، وأخذا يفحصان جيدًا

أركانها ونقوشها ، وأخذت (منى) تتابعهما بعينيها بقلق .. كانت تعلم جيدًا أن (أدهم) ليس من النوع الذى يسلم نفسه لأعدائه بهذه السهولة ، لا بد أنه يدبّر خدعة ما .. أما (أدهم) فقد ظل هادئًا ، على حين كان السمين يراقبه بدقة ، وقد صوّب مدفعه الآلى إلى صدره ..

كانت البركة فى الطريق بينه (أدهم) والسمين ، وفى أثناء بحث الرجلين جاءت لحظة أصبحا فيها بين (أدهم) والسمين .. وفى هذه اللحظة أخذ (أدهم) يسعل بشدة ، ثم مدّ يده إلى جيبه بحركة بدت عفوية وكأنه يبحث عن منديله .. وفجأة .. وقبل أن يدرك أحد ما حدث ، ألقى بقرص أبيض كبير فى مياه البركة .. وما أن لامس القرص سطح الماء حتى بدأ بالفوران ، وتصاعدت منه فقاعات غزيرة ..

صاح الرجلان بفزع وقفزا من البركة ، على حين صاح بهما السمين :

ـ (فلاديمير) .. (نابكوف).. ابتعدا .. إنكما

تمنعانى من إطلاق النار على هذا الوغد ..

ولكن (أدهم) لم ينتظره .. وبقفزة بارعة تخطى البركة المائية ، واستقر خلفها بين الرجال الثلاثة ، وأسرعت قبضته اليمنى تشق طريقها إلى فك السمين ، على حين قبضت اليسرى على المدفع الآلى الذى يحمله .. ثم ارتفعت قدمه لتستقر بقوة على وجه رجل آخر ، على حين صاح الرجل الثالث بفزع :

ــ أيها المجنون ، سيتصاعد الغاز السام من الماء فى الحال ، ويقتلنا جميعًا .

تجاهله (أدهم) تمامًا ، ووجّه إليه عدة ضربات متتالية فى بطنه وفكه وأنفه ، سقط الرجل على أثرها فاقد الوعى ..

كانت (منى) قد تناولت مسدس (أدهم) الملقى على الأرض ، وصوبته إلى الرجال وصاحت :

ــ قفوا .. وليلق كل منكم سلاحه .

قفز (أدهم) جانبًا ، وصوّب المدفع الآلى الذى

انتزعه من السمين إلى الرجال الثلاثة ، وهو يبتسم ساخرًا ، على حين وضعت (منى) منديلها على فمها وأنفها ، وصاح السمين بذعر وقلق :

ــ حسنًا أيها الشيطان .. سنستسلم ، ولكن يجب أن نخرج من هنا جميعًا ، وإلا قتلتنا الغازات السامة التى ستتصاعد من قرصك .

ضحك (أدهم) وقال :

ــ غازات سامة ؟ .. هذا ليس إلا فى خيالك المريض يا صديقى .. كيف يمكن أن تخرج غازات سامة من قرص بسيط من أقراص معالجة الحموضة ؟

حدّق فيه الرجال بدهشة ، سرعان ما تحوّلت إلى غيظ ، على حين رفعت (منى) منديلها عن وجهها وقالت بذهول :

ــ قرص مضاد للحموضة ؟ هل قامرت بالهجوم على ثلاثة رجال يحملون المدافع الرشاشة ، وليس لديك سوى قرص من أقراص معالجة الحموضة ؟ قرص فوار !

ابتسم (أدهم) ، وقال بهدوء :

ـــ بل قامرت على مشاعر رجال مخابرات ، اعتادوا العبث بهذه الكيماويات العجيبة .. كان من الطبيعى أن يتصوّروا أن هذا القرص العادى سلاح خطير ، ما دمت قد ألقيته بهذه الطريقة التى توحى بذلك .

ابتسمت (منى) وقالت :

ـــ يا لك من رجل !!

فتمتم أحد الرجال الثلاثة بغضب :

ـــ بل يا لك من شيطان !!

ضحك (أدهم) ساخرًا ، وقال :

ـــ ما دمنا لم نجد التصميمات بعد ، فسأكتفى بمصادرة أسلحتكم أيها الزملاء .. فليس بين دولتينا عداء يستوجب قتلكم .. ولكن اسمحوا لى باتخاذ جانب الأمان ، فربما كان لدولتكم رأى آخر .

* * *

٥ ـــ لحظات الخطر ..

فى طريق العودة ، التفتت (منى) إلى (أدهم) وسألته :

ـــ لماذا هذا التصرف العجيب أيها المقدم ؟ يحاولون قتلك فتكتفى بإلقاء أسلحتهم فى النهر ، وتقييدهم فقط .. ألم تخش أن يسعوا وراءك ؟

ابتسم (أدهم) ابتسامة خفيفة ، وقال :

ـــ لست أحب العنف بدون مبرّر أيتها الملازم .. ثم إننى لا أخشى شيئًا على الإطلاق .

صمتت (منى) قليلًا ، ثم عادت تسأله :

ـــ أين سنبحث هذه المرة ؟

أجابها (أدهم) وهو يوقف السيارة أمام فندق (ويجنت) :

ـــ أمامنا منزله فى (أكسفورد) ، ويخته الخاص ، ومعمله .. أعتقد أننى أفضل يخته الخاص هذه المرة .

وما أن هبطت (منى) من السيارة حتى قال لها :

ـ اصعدى أنت إلى جناحك ، ولا تفتحى الباب حتى أدق ثلاث دقات متتالية سريعة .

سألته بدهشة :

ـ وأين ستذهب أنت ؟

قال وهو يدير المحرك :

ـ عندى مهمة سريعة لا بد من إنجازها .

ثم انطلق بالسيارة قبل أن تستفسر منه عن وجهته ، فهزت كتفيها بلا مبالاة ، وصعدت إلى جناحها ..

كان يلازمها شعور بالخطر أثار حواسها .. فدخلت إلى جناحها بحذر ، وفتشته بعناية .. ولمّا لم تجد ما يستوجب الشعور بالخطر جلست على سريرها ، وأخذت تفكر فى المهمة التى ذهب إليها (أدهم) .. حاولت استنتاج وجهته ، ولمّا فشلت استلقت على السرير ، وراحت فى نوم عميق .

وفجأة أيقظها هذا الشعور الغريزى المنذر .. فقفزت

واقفة بصورة مفاجئة ، وفى نفس اللحظة سمعت صوت ارتطام مكتوم ، وتصاعدت من فراشها رائحة حريق خافت .

تنبّهت حواسها فجأة .. كانت هذه أول محاولة قتل تعرّض لها ، دون أن يكون (أدهم) بجوارها .. تحرّكت بسرعة محاولة إيجاد حقيبتها فى الظلام ، عندما ومضت طلقة رصاص أخرى ، ظهر على ضوئها الخافت شبح رجل قصير بجوار النافذة ، وسمعت الارتطام المكتوم نفسه ولكن بدوىّ أعلى عند الحائط هذه المرة .. لم يكن هناك شك .. كان هذا الرجل الواقف بجوار النافذة يطلق عليها الرصاص من مسدس مزوّد بكاتم للصوت .

وقبل أن يطلق الرجل رصاصته الثالثة قذفته (منى) بآنية زهور فخارية ، تأوّه الرجل بألم وسبّ ساخطاً وهو يطلق رصاصة ثالثة أصابت المقعد الذى قفزت (منى) خلفه .. أخذ عقلها يعمل بسرعة وارتباك ، وتساءلت فى نفسها :

— كيف أصل إلى حقيبتى ؟ إنها فى الطرف الآخر من الحجرة ، وهذا الظلام السخيف .. سيقتلنى هذا الرجل بالتأكيد لو ظللت قابعة هنا .. لا بدّ من فعل شىء ما .

وقبل أن تبادر (منى) بأية خطوة ، سمعت صوت ارتطام جسم بالأرض ، وصوت الرجل القصير وهو يسبّ ساخطًا ، ثم سمعت ما ينبئ بحدوث شجار صامت .. قفزت (منى) قفزة واحدة إلى مفتاح الضوء فأوقدته ، ورفعت حاجبيها دهشة ، عندما وقعت عيناها على المشهد الذى يدور فى جناحها .

كان (أدهم) بملابس النوم ، يلتحم مع رجل قصير ضخم الرأس ، له أنف أجدع .. كان الرجل القصير يحاول تصويب مسدسه إلى صدر (أدهم) ، الذى أمسك بذراع الرجل بقوة ، ووجه إلى بطنه لكمة قوية جعلته يتأوّه بقوة ، ثم حمله فى الهواء ، وأسقطه على الأرض .

طار المسدس بعيدًا ، فأسرعت (منى) تلتقطه ، وتقذف به إلى (أدهم) الذى تلقفه بمهارة ، وقبل أن يقف الرجل القصير على قدميه ، كان (أدهم) يصوّب المسدس إلى رأسه ..

تسمّر الرجل ، وامتلأت نظراته بالغيظ والحقد ، وبهدوء استند (أدهم) إلى مقعد قريب ، وأخذ يحرّك المسدس بلا مبالاة ، وهو يقول للقصير :

— أنت مبتدئ فى عالم المخابرات أيها القصير .. فى المرة القادمة عندما تطلق الرصاص على شخص ما بغية قتله ، لا تجعل رصاصك يصطدم بالجدران .

ابتسمت (منى) ، وقالت :

— هل تعنى أن هذا هو الذى أحضرك هكذا كالملاك الحارس ؟

مطّ (أدهم) شفتيه ، وقال :

— بالطبع .. لقد أيقظنى صوت ارتطام بالحائط .. صحيح أن المسدس مزوّد بكاتم للصوت ، ولكن الجدران ليست كذلك .

ثم صوّب المسدس إلى رأس الرجل ، وقال بحزم :

ــ من الذى أرسلك إلى هنا يا صديقى القصير ؟

رفع الرجل عينيه إلى السقف ، وظهر العناد على ملامحه ، ولم ينبس ببنت شفة ..

ابتسم (أدهم) ، وقال :

ــ يسعدنى دائمًا التعامل مع مثلك من الرجال .. هؤلاء الذين يصرُّون على الصمت .

ثم قال لـ (منى) دون أن يرفع عينيه عن الرجل :

ــ أغلقى عينيك يا عزيزتى .. فأنا أشفق على فتاة مثلك ، أن تشاهد رجلًا تنفجر رأسه برصاصة .

شحب وجه القصير ، وقال بتلعثم :

ــ إنك لن تجرؤ .. لن تستطيع ..

سحب (أدهم) صمام الأمان إلى الوراء ، وألصق المسدس بجبهة الرجل وهو يقول بلا مبالاة :

ــ ستخبرك الشياطين فى الجحيم يا صديقى أننى جرؤت على ذلك .



ثم صوّب المسدس إلى رأس الرجل ، وقال بحزم :
« من الذى أرسلك إلى هنا يا صديقى القصير ! » ..

صاح الرجل برعب ، وقد تصبب العرق على جبينه :

— لا .. لا .. سأخبرك بكل شيء .

أعاد (أدهم) صمام الأمان إلى موضعه وهو يقول :

— ألم أقل لك يا صديقى القصير ، إنه يسعدنى دائما التعامل مع رجال مثلك ؟

فى نفس هذه اللحظة فى الغرفة الصغيرة أسفل الفندق ، جلس (حاييم) وأمامه موظف الاستقبال ، الذى كان يقول باهتمام :

— لقد حضر اليوم رجل فرنسى وطلب استئجار سيارة ، كما طلب عنوان معمل الدكتور (ألفريد جورج) .. يبدو أن المخابرات الفرنسية قد قررت الانضمام للسباق يا سيدى .

ضاقت حدقتا (حاييم) ، وسأله باهتمام :

— صف لى هذا الرجل .. كيف يبدو ؟

تنحنح موظف الاستقبال قليلاً قبل أن يقول :

— إنه بدين .. ضخم الجثة .. طويل .. عريض الكتف .. أشقر الشعر .. له عينان خضراوان ، ونظرة نافذة .. وهو يحمل جواز سفر فرنسى تحت اسم (جان ديلون) ..

غمغم (حاييم) وهو يضم كفيه ، وتبرق عيناه ببريق عجيب :

— (جان ديلون) !!.. اسم جديد .. وأين يقيم هذا الرجل؟

أجابه موظف الاستقبال :

— فى الجناح رقم (تسعة) الملاصق لجناحى (أدهم صبرى) وزميلته .

قطب (حاييم) حاجبيه وقال :

— هل سيجتمع رجال المخابرات كلهم فى طابق واحد ؟

ثم ابتسم ابتسامة خبيثة وهو يقول :

— ربما كان هذا لصالحنا ، حيث نتخلص من
الجميع بضربة واحدة .

وفى الجناح الذى تقيم به (منى) كان (أدهم)
يضم ساعديه ويقول للرجل القصير :

— إذن فأنت تابع لتلك الدولة الصغيرة .. كنت
أتوقع انضمامكم للسباق .. قل لى أيها القصير : ماذا
ستفعل بعد أن أدليت بكل هذه المعلومات ؟

نكس القصير رأسه ، وتمتم بيأس :

— سأحاول الهروب إلى (فرنسا) .. لن يرحمنى
أحد .

مال عليه (أدهم) وقال بلهجة ذات معنى :

— عندى اقتراح آخر .. ربما كان أفضل من
الهرب .

رفع الرجل رأسه ونظر إلى (أدهم) بشك وريبة ،
فوجده يبتسم ، ويضع مسدسه جانبًا .

* * *

٦ — الخدعة ..

دلف القصير إلى الغرفة الصغيرة فى الطابق السفلى
من الفندق ، ووقف أمام (حاييم) وهو يرتعد .. رمقه
(حاييم) بنظرة فاحصة وسأله بهدوء :

— هل تمت المهمة بنجاح ؟

تردَّد القصير قبل أن يقول :

— لمْ .. لمْ أنجح فى ذلك .. بسبب .. بسبب هذا
الشيطان الذى ....

قاطعه (حاييم) صائحًا :

— أنا لا أقبل الفشل .. هل سمعت ؟

أسرع القصير يقول وهو يرتعد خوفًا :

— ولكننى .. ولكننى نجحت فى إحضار معلومات
جيدة .

هدأت ثورة (حاييم) فجأة ، وتطلَّع إلى القصير
وسأله بخبث :

ـ معلومات جديدة ؟.. ومن أين أتتك هذه المعلومات ؟

قال القصير ، وقد شعر بتبدّل الموقف :

ـ لقد حاول هذا الرجل شرائى .. هذا الرجل المسمّى (أدهم صبرى) ، حاول ضمّى إلى صفوف المخابرات المصرية ، ولقد تظاهرت بالموافقة حتى لا يطلق النار على رأسى .

ظهرت دلائل التفكير العميق على وجه (حاييم) ، وهو يقول بلهجة متشككة :

ـ (أدهم صبرى) حاول ضمّك إليه ؟ هل من المعقول أن يقدم على هذه الخطوة الحمقاء ؟ وماذا أخبرك به ؟

استردّ القصير أنفاسه ، وأخذ يقول بلهجة جادة ، محاولاً إضفاء صفة الأهمية على معلوماته :

ـ أخبرنى أنه سيبحث فى اليخت التابع للدكتور (ألفريد جورج) عن التصميم الذى نبحث عنه .

سأله (حاييم) ، وقد أصبحت ملامحه أقرب إلى الثعالب :

ـ ولماذا يخبرك بهذا ؟

قال القصير :

ـ لقد طلب منى إبعادكم عن اليخت حتى مساء الغد .

أغمض (حاييم) عينيه ، وعلت شفتيه ابتسامة خبيثة وهو يقول :

ـ هكذا !!

أسرع القصير يقول :

ـ ولقد تظاهرت بالموافقة بالطبع ، حتى أكتسب ثقته .

لم يعلّق (حاييم) على عبارة القصير ، وإنما ظل مغمض العينين فترة طويلة ، قبل أن يبتسم ابتسامة غامضة ويقول :

ـ أرسل لى موظف الاستقبال .. أريد إبلاغ رسالة إلى الرجال .



قطبت (منى) حاجبيها ، وتوجهت إلى موظف الاستقبال وسألته : « من هذا الرجل البدين هناك ؟ » ..

فى الصباح الباكر هبطت (منى) وحدها إلى ردهة الفندق ، وجلست تنتظر (أدهم) .. واسترعى انتباهها رجل بدين ضخم الجثة ، أشقر الشعر ، أخذ يختلس النظر إليها بطريقة مفضوحة .. قطبت (منى) حاجبيها ، وتوجهت إلى موظف الاستقبال وسألته :

ــ من هذا الرجل البدين هناك ؟

ألقى موظف الاستقبال نظرة سريعة إلى حيث أشارت ، ثم قال :

ــ إنه المستر (جان ديلون) ، فرنسى .. حضر إلى هنا أمس مساءً ، ويقيم فى الجناح المجاور لكما .

هزت (منى) رأسها علامة الفهم ، وشكرت الموظف ، وأخذت تختلس النظر بدورها إلى الفرنسى البدين ، الذى انتهى من تناول قهوته ، ثم اتجه إلى المصعد واستقله صاعدًا .. ظهر التساؤل على وجه (منى) وهى تحدث نفسها قائلة :

ــ هل لهذا الرجل علاقة بالتصميم الضائع

يا ترى ؟ لماذا كان يختلس النظر إلىّ هكذا ؟

وبعد ربع ساعة تقريبًا ، هبط (أدهم) مرتديًا حلّة بيضاء شاهقة ، وقميصًا أزرق حريريًا .. كان مصفف الشعر بشكل يوحي بالفراغ التام ، وحياة الدّعة .. وبعد أن ألقى إليها بالتحية ، التفت إلى موظف الاستقبال ، وسأله بصوت مسموع :

— كيف يمكنني الذهاب إلى نادى اليخت ؟

قال موظف الاستقبال بهدوء :

— ستسير إلى الأمام حتى نهاية الشارع ، ثم تنحرف يمينًا .. هناك ستجد إشارة ترشدك إلى النادى .

وما أن خرجا من الفندق واستقلا السيارة ، حتى أخبرته (منى) بشكوكها حول الفرنسي البدين ، فهزّ كتفيه بلا مبالاة وقال :

— دَعْكِ من هذا الفرنسي .. لقد شاهدته وهو يدخل جناحه ، كما أنه هناك باب يصل جناحينا .

ثم انحرف يسارًا عند نهاية الطريق ، فأشارت

(منى) محاولة إصلاح هذا الخطأ :

— لقد قال موظف الاستقبال أن نتجه إلى اليمين لا إلى اليسار .

ابتسم (أدهم) ابتسامة غامضة ، وقال وهو يزيد من سرعة السيارة :

— هذا إذا كنا سنذهب إلى نادى اليخت .. ولكن هذا ليس طريقنا الصحيح .. سنتوجه الآن إلى معمل الدكتور (ألفريد) .

هزّت (منى) رأسها وقالت :

— لهذا تعمّدت أن تتحدث بصوت عالٍ ، وأن تسأل موظف الاستقبال عن الطريق إلى نادى اليخت .

ابتسم (أدهم) وقال :

— ولهذا أيضًا تعمّدت إخبار هذا المجرم القصير ليلة أمس .

رفعت (منى) حاجبيها دهشة وقالت :

— إذن فأنت لم تتوقّع ولاءه .

مطّ (أدهم) شفتيه باشمئزاز وقال :

ــ لم أتوقّع أبدًا أن يمتحنى واحد من هذا الجنس ولاءه .. بل توقعت أن يحاول استغلال هذه المعلومات للتقرُّب من رئيسه ، ولتبرير فشله .

ابتسمت (منى) وهى تسترخى فى مقعدها قائلة :

ــ وهكذا يذهب الجميع إلى نادى اليخت ، على حين نتوجه وحدنا إلى معمل الدكتور (ألفريد) .. يا لك من داهية !!

وبعد نصف ساعة ، كان (أدهم) يوقف سيارته أمام معمل الأبحاث الشخصى التابع للدكتور (ألفريد) .. وبينا كان يهبط منه سألته (منى) :

ــ كيف تعتقد أننا سنقتحم المعمل فى وضح النهار هكذا ؟

هزّ (أدهم) كتفيه بلا مبالاة وقال :

ــ ومن قال إننا سنقتحم المعمل ؟

استندت (منى) إلى السيارة وقالت :

ــ ما الطريقة التى سنتبعها إذن ؟

قال (أدهم) وهو يسير بهدوء نحو المعمل :

ــ سندخل المعمل من الباب الرئيسى .. وأمام الجيران .

رفعت (منى) حاجبيها دهشة وسألته :

ــ كيف ؟

أجابها (أدهم) بابتسامة غامضة وهدوء بالغ :

ــ بالمفتاح .. لقد فعلت أمس التصرف المنطقى البسيط الذى لم تفكّر مخابرات الدول كلها فى اتباعه .. استأجرت المعمل .

توقفت (منى) عن السير ، وحدّقت فيه بدهشة وهى تردّد :

ــ استأجرته ؟ .. كيف ؟

ضحك (أدهم) وهو يدس المفتاح فى ثقب الباب ويديره ، ثم قال وهو يدخل المعمل بثقة :

ــ لقد فكّر الجميع فى كل الوسائل غير المشروعة ،

للبحث عن التصميم فى معمل الدكتور (ألفريد) .. وأمس خطرت فى ذهنى فكرة بسيطة .. لقد تساءلت عن رد فعل أرملة الدكتور (ألفريد) ، لو أننى طلبت منها استئجار المعمل بصفتى رجل أعمال مصرى ، ومنحتها إيجارًا مرتفعًا لدرجة يسيل لها اللعاب ، ولكنه ليس إلى الدرجة التى تثير الشك ، وذهبت إليها فعلًا أمس ، وبعد حوار قصير نجحت فى إقناعها .. وها هو ذا المعمل ، ندخله بصورة رسمية مشروعة ، على حين يبحث عنا الجميع هناك بجوار اليخت الخاص بالدكتور (ألفريد) .. هل رأيت أيتها الملازم ؟ أنجح الأشياء أبسطها .

ثم خلع معطفه وعلّقه على مشجب صغير خلف الباب ، والتفت إليها قائلًا :

— سنحاول البحث فى كل مكان بالمعمل وبخاصة صوان الوثائق ، ولا تحاولى البحث فى الأشياء الواضحة ، فلا بد أن المخابرات البريطانية قد حاولت

جهدها .. سنبحث فى الأماكن التى يستبعد وجود التصميم بها .. من حسن الحظ أن أرملة الدكتور (ألفريد) لا تدرى شيئًا عن هذا الأمر ، وإلا رفضت تأجير المعمل و ....

ولكن شيئًا ما فى نظرات (منى) المندهشة ، وتعبيرات وجهها التى تعبّر عن الهلع ، دفعه للاستدارة وراءه وتوقّف ساكنًا ، ثم عقد ساعديه بهدوء وهو ينظر إلى خمسة رجال يصوّبون مسدساتهم نحوه ، يتوسّطهم رجل طويل أصلع ، يطلقون عليه اسم (حاييم الثعلب) ، وقد وضع كفّيه فى جيبَىْ معطفه ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة هازئة ، وهو ينظر إلى (أدهم) بعينيه الضيقتين ، وبنظرات الخبث المعهودة فى بنى جنسه ، ويقول بصوت كفحيح الثعبان :

— لا تجهد نفسك فى البحث يا مستر (صبرى) .. لقد قمنا بهذه المهمة بدقة ، ولم نجد شيئًا على الإطلاق .

* * *

٧ ـ الإعصار البشرى ..

استقبل (أدهم) هذا الأمر ببرود أعصاب عجيب ، ثم ابتسم وهو يضم ساعديه قائلًا :

ـ يسعدنى أنك لم تجد شيئًا أيها الرجل .. فهذا يعنى أن نتيجة السباق لم تعلن بعد .

ضحك (حاييم) ضحكة صفراوية ، وقال :

ـ أنت متفائل أكثر من اللازم يا مستر (صبرى) .. من قال إنك ستواصل السباق ؟

ابتسم (أدهم) ابتسامة باردة ، وقال :

ـ من الغريب أن لهجتك تجعل المرء يتشكك فى جنسيتك .. ولكن ملامحك والسخافات التى تنطق بها ، وهذا الغرور المألوف .. كل هذا يجعلنى واثقًا من أصلك .

قطَّب (حاييم) حاجبيه بغيظ ، وقال وهو يطبق شفتيه :



— ستندم على هذه الحماقات أيها الرجل .

ثم أدار رأسه إلى رجاله ، وقال :

— خلصونى منه .

ولكنه لم يتصوَّر أبدًا أن تلك اللحظة التى استغرقها التفات الرجال الخمسة إليه وإدارته لرأسه ، كانت كافية لأن يتحرَّك (أدهم صبرى) ، الذى اشتهر بسرعة استجابته الفائقة .. فجذب معطفه من المشجب ، وألقاه على الرجال ، ودفع (منى) بعيدًا ، ثم ركل المسدس الذى فى يد أقرب الرجال إليه ، كل هذا فى لحظة واحدة .. وقبل حتى أن يرتفع حاجبا (حاييم) دهشة ، كان (أدهم) يركل مسدسًا ثانيًا ، ويدفع أحد الرجال على الآخر ، ويوجّه قبضته إلى الرجل الأخير .. كان يشبه إعصارًا مدمّرًا هاجم عددًا من زوارق الصيد، دون أن يمنح ركابها الوقت الكافى لإنزال القلوع .. وبقفزة واحدة التقط مسدسين ، على حين أخرجت (منى) مسدسها بسرعة ، وصوَّبته إلى الرجال الخمسة وقائدهم ..

كان الذهول يملأ ملامحهم جميعًا ، وهم ينظرون بعيون غير مصدِّقة إلى (أدهم) ، الذى وقف مبتسمًا ، وبكل يد من يديه مسدس مصوَّب إليهم .. عجز الجميع عن النطق عدا (حاييم) الذى غمغم بذهول :

— ولكن .. ولكن هذا مستحيل !! إنك شيطان !!

ابتسمت (منى) وهى تستند إلى الحائط قائلة :

— قاموس (أدهم صبرى) لا يحوى على كلمة مستحيل أيها السيد .

نهض (حاييم) واقفًا ، وأخذ ينفض التراب عن معطفه ، وكذلك فعل رجاله وهم يرتجفون ..

ابتسم (حاييم) ابتسامة حاول أن يملأها بالود الزائف ، وقال بمذلّة :

— مستر (صبرى) .. يمكننا أن نتفق .

ضحك (أدهم) ضحكة ساخرة ، وقال :

— نتفق ؟.. هكذا !.. دون وجود دولة وسيطة

كالعادة ! .. لا يا صديقى أنا لا أوقع الاتفاقيات .. فلنبحث عن لعبة أخرى .

ازدرد (حاييم) ريقه بصعوبة ، ورسم تلك الابتسامة الزائفة ، وقال باستكانة :

ـ مستر (صبرى) .. لا أعتقد أنك تنوى قتلنا .. أليس كذلك ؟

ضحك (أدهم) وقال :

ـ لو أننى طاوعت مشاعرى لفعلتها أيها الرجل الذى أجهل اسمه ، ولكننى لا أنوى ذلك إلا إذا اضطرتنى الظروف .

صاح (حاييم) برعب :

ـ لا .. لا .. لن تضطرك الظروف .. لن يتحرَّك أحد منا أبدًا .. صدِّقنى .

شعر (أدهم) بالغثيان وهو يشاهد رجل مخابرات يتوسَّل بهذا الأسلوب المهين ، ولكنه ابتلع هذا الشعور وقال بضيق :

ـ لماذا لم تذهبوا إلى نادى اليخت ؟ لماذا حضرتم إلى هنا ؟

تردَّد (حاييم) قليلًا ثم قال :

ـ عندما أخبرنى (يعقوب) ، ذلك الرجل القصير ، بأنك طلبت منه إبعادنا عن نادى اليخت ، علمت فى الحال أنك تدبِّر خطة ما ، فليس من الطبيعى أن يعمل السذَّج فى المخابرات .. لقد علمت بوسائل خاصة أنك زرت منزل الدكتور (ألفريد) الريفى .. ومن الواضح أنك لم تجد شيئًا وإلا ما أكملت السباق .. وبعد أن فكَّرت فى الأماكن المحتملة ، وجدت أن أنسبها هو المعمل ، ولذلك حضرنا إلى هنا فى فجر اليوم ، وبحثنا فى كل بقعة من المعمل ، وفحصنا كل ثقب فيه ، ولم نعثر على أثر للتصميم ، حتى حضرت أنت و .....

أشار إليه (أدهم) أن يصمت ، ثم تحرَّك بخفَّة إلى النافذة وأزاح ستائرها ، وألقى نظرة خارج المعمل ، ثم ابتسم وقال لـ (منى) :

— يبدو أن مندوبى الأمم المتحدة قد حضروا للإشراف على توقيع الاتفاقية .

نظرت (منى) من النافذة ، فوجدت عربة فارهة سوداء تقف أمام المعمل ، وقد استند إليها رجل ضخم الجثة ، عريض الوجه ، وقد برز مسدسه بوضوح أسفل سترته الباهظة السعر ، واتجه رجلان بنفس الصفات إلى باب المعمل ، وقد أمسك كل منهما بمسدسه أسفل سترته .. ابتسم (أدهم) وهو يلتفت إلى الرجال الخمسة وقائدهم قائلًا :

— أعتقد أن هؤلاء يمثلون الدولة التى تنبأتم دائمًا .. أليس كذلك ؟

برقت عينا (حاييم) فجأة ، واعتدل فى وقفته ، وتحولت لهجته إلى منتهى الثقة وهو يقول :

— من الأفضل أن تستسلم الآن يا مستر (صبرى) .. لقد أصبح الموقف فى غير صالحك .

ابتسم (أدهم) بهدوء ، وصوَّب مسدسه إلى (حاييم) وقال :

— يبدو أن الظروف ستضطرنى أيها الرجل ..

ظهر الرعب على وجه (حاييم) ، وحاول الاحتماء برجاله عندما بدأ أصحاب السيارة السوداء يدفعون باب المعمل .. شعرت (منى) بالقلق يلفّها ، وتطلّعت إلى (أدهم) الذى ظل هادئًا ، إلى أن شعر بباب المعمل يفتح بهدوء وحذر .. وهنا جذب مقبض الباب بقوة ، ولطم أحد الرجلين فى وجهه بالمسدس الذى يحمله بيسراه ، ثم ركل الثانى فى بطنه بقوة ، واستدار مُطلِقًا رصاصة واحدة من المسدس المزوَّد بكاتم الصوت الذى يحمله ، فأصاب المسدس الذى كاد يطلقه الرجل الثالث الواقف بجوار السيارة السوداء .. وقف الرجل مذهولًا ، ثم تقدم بناء على إشارة (أدهم) إلى المعمل حيث ساعد زميليه ، ودخل الثلاثة إلى المعمل الذى وقف بداخله الرجال الخمسة وقائدهم (حاييم) ، وقد صوَّبت (منى) إليهم مسدسها .. وما أن رأت (أدهم) يدخل وأمامه الرجال الثلاثة ، وقد رفع كل



ثم ركل الثانى فى بطنه بقوة ، واستدار مُطلقًا رصاصة واحدة من المسدس المزود بكاتم الصوت الذى يحمله ..

منهم ذراعيه فوق رأسه ، ابتسمت وقال :

ــ هل رأيت فوائد العمل مع زميل أيها المقدم ؟.. ماذا كنت ستفعل لو أنك وحدك فى هذا الموقف ؟

قال (أدهم) ببساطة :

ــ كنت سأوثق هؤلاء الخمسة ، وأطلق النار على هؤلاء الثلاثة .

رفعت (منى) حاجبيها بذعر وقالت :

ــ بهذه البساطة !

قال (أدهم) وهو يوثق الجميع بحبال غليظة وجدها فى المعمل :

ــ وماذا كنت تتصوَّرين أن أفعل ؟.. أستسلم أم أهرب ؟

بعد دقائق قليلة كان (أدهم) ينطلق بسيارته (الترانس إم) وبجواره (منى) .. وكانت السيارة تسير بسرعة فائقة ، فقالت (منى) وهى تحبس أنفاسها :

ــ إلى أين بهذه السرعة أيها المقدم ؟

قال (أدهم) وهو يركّز بصره على الطريق ، ويقود السيارة بمهارة فائقة :

— سننتهز هذه الفرصة النادرة أيتها الملازم .. لقد أجبرنا اثنين من الدول على الانسحاب السلمى من السباق .. فى الوقت الحالى على الأقل ، وأصبحت أمامنا فرصة للبحث فى منزل الدكتور (ألفريد) أو يخته الخاص .. وما دامت أرملته تقيم فى المنزل ، فسنتوجه فى الحال إلى نادى اليخت ، ونأمل أن يكون الباقون قد انصرفوا منه ، وإلا فسيشهد النادى سباقًا لم يَرَ له مثيلًا من قبل .





٨ — بين طائرة ويخت ..

أشارت (منى) إلى لافتة على جانب الطريق وقالت :

— احترس يا سيادة المقدم .. حاول إقلال السرعة وإلا فسنعبر مدينة (لندن) .

قال (أدهم) دون أن يلتفت إليها :

— بالطبع .. ألم أقل إننا ذاهبان إلى حيث يخت الدكتور (ألفريد) الخاص ؟

ثم ضحك وقال ساخرًا :

— هل تصوّرت أن اليخت موجود فى (لندن) ؟. يا لك من ساذجة !!

احمر وجه (منى) خجلًا ، وقالت بتلعثم :

— ألم تقل إننا ذاهبان إلى نادى اليخت ؟

قال (أدهم) وهو ينحرف يسارًا بسيارته :

— نعم .. يوجد بالفعل ناد لليخت فى قلب لندن ،

ولكنه مجرد مكان للقاء أعضاء نادى اليخت ، أما النادى الفعلى الذى تمارس فيه رياضة اليخوت فهو ميناء (دوفر) ، ونحن متوجهان إلى هناك .

وبينما اقترب (أدهم) و (منى) من ميناء (دوفر) ، كان (حاييم) قد تحرَّر بمساعدة رجاله من القيود ، ووقف يدعك رسغيه ، وقد ظهرت على وجهه ملامح الغضب .. وقف أحد الرجال الثلاثة الذين حضروا فى السيارة السوداء ، وقال بغضب :

ـ هل رأيت ما الذى حدث بسبب مخابراتكم ؟ لقد سمحتم لرجل واحد بالتغلُّب علينا جميعًا .

ابتسم (حاييم) بنفاق وقال :

ـ مستر (جيمس) .. إنه ليس رجلًا عاديًا .. لقد رأيت بنفسك أنه شيطان .

صاح (جيمس) بغضب :

ـ شيطان أو إبليس .. هذا ليس مبررًا لأن تضعوا مخابراتنا فى هذا الموقف الحرج .

ثم أمسك بتلابيب (حاييم) وقال :

ـ اسمع أيها الثعلب العجوز .. لو استمر الحال على هذا ، سنتوقف عن مساندتكم .

صاح (حاييم) بذعر ومذلّة :

ـ لا .. لا تقل هذا يا مستر (جيمس) .. أنت تعلم والجميع يعلمون أنه لا قيمة لنا بدونكم .

ثم ابتسم بخبث وهو يقول هامسًا :

ـ ثم إننى أعرف المكان الذى سيتوجّه إليه هذا الضابط المصرى الشيطان .

كان (أدهم) فى هذه اللحظة بصحبة (منى) على ميناء نادى اليخت .. أشار (أدهم) إلى يخت أنيق متوسط الحجم وقال :

ـ هذا هو اليخت الخاص بالدكتور (ألفريد) .. لقد كان من عشاق الملاحة والصيد .

سألته (منى) وهى تتأمل اليخت الأنيق :

ـ كيف نصل إلى سطحه يا تُرى ؟

استدار (أدهم) متوجهًا إلى إدارة النادى وهو يقول :

ـ سنحاول استئجاره أولًا ، فإذا لم نفلح سيكون علينا سرقته .

بعد قليل فى مكتب مدير النادى ، كان الرجل يصيح بدهشة :

ـ ما الذى حلَّ بهذا اليخت .. هذا خامس طلب لاستئجاره منذ الصباح .

ثم مال على مكتبه ، وقال بلهجة لا تقبل المناقشة :

ـ لا أيها السادة .. هذا اليخت ليس للإيجار .

التفت (أدهم) إلى (منى) وقال بهدوء :

ـ ليس أمامنا خيار ثالث إذن .

تسمَّر مدير النادى فى مقعده ، واتسعت عيناه دهشة وذعرًا ، عندما أخرج (أدهم) مسدسه وصوَّبه إلى رأسه .. تمتم الرجل برعب :

ـ ما هذا الجنون ؟ ليست لدينا أموال على الإطلاق .

ابتسم (أدهم) وقال بنفس الهدوء :

ـ نستطيع إقراضكم بعض الأموال إذا كنتم بحاجة إليها يا سيِّدى المدير .. أما الآن فسوف تصحبنا فى رحلة بهذا اليخت الأنيق .

وبعد لحظات على سطح اليخت قال المدير باستسلام :

ـ هذه أول مرة يحدث فيها هذا ..

ابتسمت (منى) وقالت وهى تصوِّب مسدسها إليه :

ـ لقد أجبرتنا على هذا يا سيادة المدير .. كنا نريد استئجاره فقط بضع ساعات .

ألقى المدير نظرة على (أدهم) الذى يقود اليخت بمهارة ، وقال :

ـ صديقك يجيد قيادة اليخوت إلى درجة عالية .. هل هو من أبطال هذه الرياضة ؟

ضحكت (منى) وقالت :

ـ إنه من أبطال رياضات عدّة .

نظر إليها المدير بتساؤل ، وأوقف (أدهم) محركات اليخت ، ثم قال لرفيقته :

ـ راقبى سيادة المدير جيدًا ، حتى أنتهى من تفتيش اليخت ، ونعود إلى الميناء .

هبط (أدهم) إلى غرفة المعيشة والنوم باليخت .. كان اليخت بسيطًا أنيقًا .. على حوائط الغرفة عدة خرائط بحرية ، وخريطة ضخمة للملاحة ، وفى وسط الغرفة استقر سرير صغير ، ومنضدة ، وجهاز تليفزيون ، وعدة مقاعد مثبتة فى الحائط .

أخذ (أدهم) يفحص المكان بدقة ، ثم أخذ يتفحّص الخرائط باهتمام ، عسى أن يجد على أحدها علامة ما ، أو إحداثية تشير إلى مكان ألقى فيه الدكتور (ألفريد) تصميمه السرّىّ .. ووقف طويلًا أمام خريطة الملاحة المتشابكة الخطوط .. كانت خريطة مرسومة باليد بدقة متناهية ..



أخذ (أدهم) يفحص المكان بدقّة ، ثم أخذ يتفحّص الخرائط باهتمام ..

أخذ (أدهم) يحاول تفسير هذه الخريطة الشخصية ، ثم قطّب حاجبيه وتمتم قائلًا :

ــ هذه الخريطة لا تشبه خرائط الملاحة المألوفة .. ماذا لو أننا ....

وفجأة تنبّهت حواسه كلها ، عندما وصل إلى أذنه صوت طنين طائرة مروحية يقترب من اليخت .. أسرع (أدهم) صاعدًا إلى السطح ، وبنظرة واحدة عرف أن هذه الطائرة تعتبرهم هدفًا ، إذ كان الرجل الذى يجلس بجوار قائدها ممسكًا بيده مدفعًا رشاشًا ..

صاح (أدهم) وهو يقفز إلى دفة اليخت :

ــ أسرعى إلى أسفل أيتها الملازم .. اختبئى مع المدير فى غرفة المعيشة .. هيّا ..

ثم انطلق باليخت بسرعة مذهلة .. طاردته الطائرة المروحية بإصرار ، على حين أخذ قائدها يطلق مدفعه الرشاش ، محاولًا إصابة اليخت إصابة خطيرة ، أو على الأقل قتل قائده (أدهم صبرى) ..

أخذ (أدهم) ينحرف باليخت يمينًا ويسارًا ، مزيدًا من سرعته إلى درجة خطيرة .. ولكن هيهات أن يسبق اليخت البحرى طائرة مروحية قوية .

نظر (أدهم) إلى عدّاد الوقود ، ثم مطّ شفتيه وقال :

ــ أمامنا ثلاث دقائق على الأكثر ، ثم نستسلم لهذا القنّاص .. ليتنى زوّدت اليخت بوقود إضافى .

ثم قطّب حاجبيه وقال :

ــ أعتقد أن هذا الموقف يمكن أن يدخل تحت نطاق الضروريات .. حسنًا .

وصاح مناديًا (منى) التى صعدت إليه بصعوبة ، محاولة الحفاظ على توازنها مع هذه السرعة التى ينطلق بها اليخت .. وما أن أصبحت بجواره حتى قال لها ، وهو يتابع الانطلاق والمناورة :

ــ خذى المسدس الموضوع فى الجيب الأيمن لسترتى ، وأفرغيه من الرصاص ، ثم ....

وتوقف فجأة عن الحديث ليدور اليخت دورة كاملة ، متفاديًا طلقات المدفع الرشاش ، التى كادت تصيب الدفة وتصيبه ، ثم أكمل وهو يلقى نظرة سريعة على (منى) ، التى سقطت من جراء هذا الالتفاف المفاجئ :

ـ ستجدين ثلاث رصاصات ذات لون أحمر فى جيب معطفى .. ضعيها فى خزان الرصاص ، وأحضرى لى المسدس .. وبسرعة .

ثم ألقى نظرة ثانية على عدّاد الوقود وقال :

ـ أمامك دقيقة ونصف فقط .

واستمر فى مناورته ، على حين أسرعت (منى) تنفذ أوامره ، وقال وهو يبتسم بسخرية :

ـ استمر فى إطلاق مدفعك أيها الوغد ، حتى لا يؤنبنى ضميرى وأنا أدمّرك .

أسرعت (منى) تناوله المسدس ، وهى تقول بلهجة ملؤها الدهشة :

ـ هذه الرصاصات الحمراء عجيبة جدًا يا سيادة

المقدم .. لا بد أنها من نوع خاص .

تجاهل (أدهم) قولها ، وألقى نظرة على عدّاد الوقود .. كان الوقود الباقى يكفى فقط لدورة واحدة .. فصاح بها :

ـ تشبثى بأى شىء ثابت تجدينه عدا الدّفة .

دار اليخت دورة قوية حادّة ، وقبل أن تكتمل صرخت محركاته صرخة متحشرجة ، ثم توقف .. استدار (أدهم) بسرعة مصوّبًا مسدسه إلى الطائرة المروحية ، وفى نفس اللحظة ابتسم الرجل الذى يحمل المدفع الرشاش ، وقال لرفيقه قائد الطائرة بسخرية :

ـ هذا الأحمق يصوّب مسدسه إلينا .. يريد إسقاط طائرة مروحية بمسدس .. سأذيقه نيران مدفعى الرشاش .

أطلق (أدهم) الرصاص على ذيل الطائرة المروحية ، وقبل أن يصوّب الرجل مدفعه الرشاش إلى (أدهم) ، ارتجّت الطائرة بقوة ، وسقط المدفع من يد



أطلق (أدهم) الرصاص على ذيل الطائرة المروحيّة ..

الرجل الذى أصابته الدهشة ، وصرخ قائد الطائرة وحاول إيقافها عن هذا الدوران المستمر بشدة ، وهى تهوى إلى البحر ، وصاح بدهشة وذعر :

ــ لقد انفجر ذيل الطائرة .. لن أستطيع المحافظة على توازنها .

وكانت آخر عبارة قالها الرجل قبل أن تصطدم الطائرة بالماء هى :

ــ يا للشيطان !! هذا مدفع وليس مسدسًا .

قامت (منى) واقفة وقد ملأت الدهشة وجهها ، وقالت وهى تشير إلى الطائرة التى تغوص ببطء فى الماء :

ــ هل هى الرصاصات الحمراء التى فعلت هذا ؟

ابتسم (أدهم) ، وقال وهو يسحب الرصاصتين الباقيتين من خزان الرصاص :

ــ هذه واحدة من منجزات المكتب رقم (عشرة) .. قنابل صغيرة فى حجم رصاصات

المسدس .. وبها يتحوّل المسدس الصغير إلى مدفع مدمّر .

استندت (منى) إلى الدفة وقالت :

ـ لم أتصوّر أننى أعمل فى جهاز مخابرات بهذه القوة .

قال (أدهم) بلهجة ساخرة :

ـ هذه الرصاصات تعد شيئًا تافهًا بجوار منجزات المكتب رقم (عشرة) أيتها الملازم .. أنت تعملين فى جهاز مخابرات أقوى مما تتصوّرين .. بل أقوى مما يظن هؤلاء .

ثم أشار إلى قائد الطائرة ورفيقه ، وهما يسبحان نحو أملهما الأخير فى النجاة من الغرق .. نحو اليخت الذى يستقله (أدهم) ، فابتسم قائلًا :

ـ استعدى أيتها الملازم .. سينضم إلينا اثنان من الأسرى .

* * *

٩ ـ المساومة ..

جلست (منى) تتأمل صفحة بحر (المانش) الهادئة ، ثم التفتت إلى (أدهم) وقالت :

ـ يا له من موقف يا سيادة المقدم !! ثلاثة أسرى ويخت خالٍ من الوقود فى منتصف بحر (المانش) .

ابتسم (أدهم) وقال :

ـ الأمر ليس بهذه الخطورة أيتها الملازم ، أستطيع عبور المسافة بيننا وبين ميناء (دوفر) سباحة بمنتهى البساطة .. ولكننى كنت أفحص خريطة الملاحة الضخمة المعلّقة على حائط غرفة المعيشة .

نظرت إليه (منى) بتساؤل ، فتابع قائلًا :

ـ لقد لاحظت بها عدة أخطاء ملاحية ، وبعد فحص دقيق تبيّنت أنها أخطاء مقصودة .

رفعت (منى) حاجبيها دهشة وقالت :

ـ غير معقول .. هل تحاول أن تخبرنى أنها ....

قاطعها (أدهم) قائلاً :

ـ نعم .. لو ألصقت الأجزاء الدقيقة التى تحتوى على الأخطاء بعضها ببعض ، لكوّنت هذا التصميم الذى نبحث عنه .

صاحت (منى) بسعادة :

ـ الحمد لله .. لقد نجحنا .. لقد نجحنا .

قطّب (أدهم) حاجبيه ، وأشار بعيدًا وهو يقول :

ـ هناك زورق بخارى يقترب .. أعتقد أننا سنواصل السباق .

وعلى هذا الزورق البخارى ، وقف (حاييم) ممسكًا بيده منظارًا مقرّبًا ، وهو يبتسم ابتسامته الخبيثة قائلاً :

ـ آه .. ها هو ذا صديقنا مستر (صبرى) .. يبدو أن اليخت مصاب بعطب ما .

قال (جيمس) ، وهو يتحسّس مسدسه :

ـ بعد قليل سيصاب صديقك المستر (صبرى) بعطب أشد .

وفى نفس اللحظة على سطح اليخت قالت (منى) بقلق :

ـ ماذا سنفعل يا سيادة المقدم ؟.. نحن كالفأر فى المصيدة .

قطّب (أدهم) حاجبيه ، وقال بلهجة ساخرة :

ـ أنا لا أحب الفئران أيتها الملازم ، وأفضل دائمًا أن أكون قطًا .

بعد لحظات كان (حاييم) يقفز على سطح اليخت ووراءه رجاله الخمسة ، ثم تبعهم (جيمس) ورفيقاه .. كان سطح اليخت خاليًا .. أسرع (حاييم) ورجاله إلى غرفة المعيشة ، حيث وجدوا مدير نادى اليخت ورجلى المخابرات صاحبى الطائرة المروحية .. ترك (حاييم) الجميع مقيدين كما هم وسألهم بقسوة :

ـ أين رجل المخابرات المصرى ؟.. لقد رأيته منذ دقيقة واحدة يرتكن إلى سور اليخت .. أين ذهب ؟

ثم اتسعت عيناه فجأة ، وصاح برجاله :

— هل بقى أحدكم لحراسة الزورق البخارى ؟

ولمّا وجدهم كاملين صاح بغضب :

— أسرعوا إلى الزورق ..

كان (أدهم) فى هذه اللحظة يحاول إدارة الزورق البخارى ، الذى أصابه العناد ورفض أن يدور .. إلى أن صاحت (منى) بيأس :

— إنه من ذلك النوع الذى لا يدور إلا باستخدام مفتاحه الخاص .

قطّب (أدهم) حاجبيه ، وحاول بإصرار إخراج سلكى المحرّك وتوصيلهما ، عندما سمعا صوتًا أجش يقول بلهجة آمرة :

— توقّف يا مستر (صبرى) .. لقد انتهى السباق بالنسبة إليك وإلى رفيقتك .

وبعد لحظة كان (أدهم) يقف بلا مبالاة أمام (حايم) ، الذى قال بشراسة :

— ها قد وقعت فى يدى أيها المصرى .. سأبلّغك

رسالة ، عليك بتوصيلها إلى الشيطان رأسًا .

ابتسم (أدهم) وقال :

— هل تريد إرسال خطاب إلى أخيك فى الجحيم ؟

قطّب (حايم) حاجبيه وقال :

— فلتنرَ روحك المرحة أيها المصرى ، عندما أطلق النار على رفيقتك قبل أن أتخلّص منك .

شعرت (منى) بجسدها يرتعد ، ولكنها تماسكت ، ورسمت على وجهها ابتسامة لا مبالاة ، ولكنها عجزت عن الاستمرار فى هذه الابتسامة عندما وضع (حايم) مسدسه على جبهتها ، وجذب صمام الأمان .. وأغلقت عينيها بقوة ، عندما جاءها صوت (أدهم) ، وهو يقول بهدوء عجيب فى مثل هذا الموقف :

— لحظة أيها الوغد العجوز .. لو أنك مسست شعرة من رأس زميلتى ، لن تحصل على التصميم أبدًا .

أبعد (حايم) مسدسه ، ونظر إلى (أدهم) بشك ، على حين أمسك (جيمس) بملابس

(أدهم) وجذبه بقوة ، وهو يقول بالإنجليزية وبلهجة أمريكية :

ـ هل وصلت إلى التصميم أيها الرجل ؟. أعطنى إياه وإلا ....

ضحك (أدهم) وقال بهدوء وحزم :

ـ لن تحصل على شىء إلا بشروطى أيها الوغد .

احمر وجه (جيمس) غضبًا وقال :

ـ هل تراهن ؟ سوف أنزع أظافرك لو لم ....

قاطعه (أدهم) ببرود :

ـ أراهنك أيها المغرور .

كان التصميم والعزم واضحين فى عينى (أدهم) ، فدفعه (جيمس) بعيدًا ، وأخذ يسبُّ ساخطًا ، على حين ضاقت حدقتا (حاييم) ، وقال بهدوء :

ـ ما شروطك يا مستر (صبرى) ؟

أشار (أدهم) إلى (منى) ، وقال بهدوء :

ـ أن ترحل زميلتى الآن على زورقكم البخارى ..

ويمكنكم الاستعانة بالوقود الإضافى للعودة بهذا اليخت .

قال (حاييم) بخبث :

ـ ولو رفضت ذلك الشرط أيها المصرى ؟

هزَّ (أدهم) كتفيه وقال :

ـ أرفض ، ولن تحصل على التصميم أبدًا .

صاح (جيمس) مقاطعًا :

ـ إنه يخدعك .. هذا الرجل شيطان مخادع .

هزَّ (حاييم) رأسه وقال :

ـ حسنًا .. أنا أوافق على شرطك أيها المصرى .. سترحل زميلتك فى الحال .. ولكن ، لو أنك كنت تخدعنى ، سأذيقك من العذاب ما لا يخطر لك على بال .

* * *

١٠ ـ نيران الصراع ..

أخذ (أدهم) يتطلّع إلى الزورق البخارى الذى تقوده (منى) حتى اختفى فى الأفق ، ثم التفت إلى (حاييم) وقال :

ـ هيَّا أيها الوغد العجوز .. سأخبرك بسرّ التصميم .

ابتسم (حاييم) ابتسامة الثعالب وقال :

ـ أنت خصم شريف يا مستر (صبرى) .

قال (أدهم) بسخرية :

ـ وأنت وغد لئيم أيها الثعلب .

كتم (حاييم) غيظه وقال :

ـ حسنًا .. سنتحاسب بعد أن تخبرنى بالسرّ يا مستر (صبرى) .

قاده (أدهم) إلى غرفة المعيشة ، حيث جلس رجاله الخمسة ، و (جيمس) ورفيقاه ومدير النادى ،

ورجلا المخابرات الإنجليزية .. وقف (أدهم) أمام خريطة الملاحة الضخمة ، وقال وهو يشير إليها :

ـ هذا هو التصميم أيها الوغد العجوز .

حدَّق (حاييم) و (جيمس) فى الخريطة بدهشة ، ثم قال (جيمس) بحنق :

ـ إنه يخدعنا أيها الثعلب العجوز .. سأطلق عليه النار .

أشار إليه (حاييم) أن يصمت ، ثم قال بابتسامة منافقة :

ـ أين هذا التصميم يا مستر (صبرى) ؟ لست أرى سوى خريطة ملاحية ضخمة .

ابتسم (أدهم) ابتسامة غامضة وقال :

ـ التصميم يظهر بوسائل خاصة أيها الوغد العجوز .. أحضر لى بعض البنزين .

أشار (حاييم) إلى أحد رجاله ، فأسرع يحضر

بعض البنزين .. تناوله منه (أدهم) ، ثم سكبه على الخريطة الضخمة وقال :

— سيظهر التصميم بعد خمس دقائق بالضبط ، عندما تمتص الأوراق هذا البنزين .

ثم أشار إلى أحد الرجال وقال :

— هل لى فى سيجارة حتى يظهر التصميم ؟

ناوله الرجل سيجارة ، ثم أخرج قداحته ليشعلها له .. تناول (أدهم) القداحة ببساطة وأشعلها .. وقبل أن يتنبّه أحد إلى ما ينوى فعله ، قذف بالقدّاحة المشتعلة على الخريطة التى اشتعلت فجأة بالنيران .

كانت هذه هى الخطة المفضّلة لدى (أدهم) .. لحظة يفقد الرجال توازنهم أو رباطة جأشهم ، فهبّ كعاصفة مدمّرة ، وقبل أن يحاول أحد الموجودين تصويب مسدسه ، كان هو قد اختطف مسدس (حاييم) ، فى نفس اللحظة التى لطمه فيها لطمة أطاحت به بعيدًا ، ثم أطلق رصاصة أصابت مسدس

(جيمس) الذى صاح بسبّه .. وبقفزة واحدة كان (أدهم) يقف بباب الحجرة مصوّبًا مسدسه إلى الجميع ، وهو يبتسم ابتسامة ساخرة .. حاول أحد رفيقى (جيمس) إطلاق النار ، فأطاح (أدهم) بمسدسه بطلقة ماهرة ، وببساطة أثارت دهشة الجميع .. فألقوا بمسدساتهم ، ورفعوا أذرعهم فوق رءوسهم .. قال (أدهم) بلهجة ساخرة :

— ها قد أخبرتك بسرّ التصميم أيها الوغد العجوز ، ولكنك لن تحصل عليه أبدًا .

صاح (حاييم) وهو يرتعد :

— اسمح لنا بإطفاء النيران أولًا يا مستر (صبرى) ، وإلا دمّرت اليخت ، وقضت علينا جميعًا .

قال (أدهم) بهدوء :

— لولا وجود مدير نادى اليخت معكم لتركت النيران تلتهمكم أيها الوغد .

ثم أشار إلى جهاز إطفاء الحريق ، وقال :



وبقفزة بارعة عبر سور اليخت ، وغطس فى الماء ..

ـ هيًا .. فليعاون كل منكم الآخر فى إطفاء النيران ، ثم سنعود إلى ميناء (دوفر) .

أسرع الجميع إلى النيران يطفئونها ، على حين ظل (أدهم) يراقبهم بدقة ، ثم تناهى إلى مسامعه صوت محرّك زورق بخارى .. تصوَّر للوهلة الأولى أن (منى) عادت إليه بزورقها ، ولكنه ألقى نظرة سريعة ، ثم ابتسم وقال :

ـ يبدو أن الجبهة الشرقية قد قررت هى الأخرى الاستيلاء على اليخت .. ها هو ذا صديقكم (فلاديمير) برفقة زميليه .

ثم انطلق يجرى فجأة وهو يقول :

ـ اعذرونى .. موعد عاجل يضطرنى لعدم استقبال زملائكم .

وبقفزة بارعة عبر سور اليخت ، وغطس فى الماء .

أسرع (جيمس) يلتقط مسدسه ، ويجرى خلف

(أدهم) ، ولكنه توقف عندما شاهد الزورق المقترب وصاح برفاقه :

— إنه على حق .. لقد حضر هؤلاء الأوغاد .

وما هى إلا لحظات حتى اندلعت النيران ، بين الرجال الذين يقودون الزورق البخارى ، والرجال الذين يحتلون اليخت .. على حين كان (أدهم) يسبح بهدوء إلى ميناء (دوفر) ، وعلى شفتيه ابتسامة ساخرة .



* * *



١١ — مفاجأة الفندق ..

وقفت (منى) بقلق تتطلّع إلى حيث اتجاه اليخت ، ثم نظرت إلى الشمس التى أوشكت على المغيب ، وعادت تتطلّع إلى ساعتها ، وعلى الرغم منها فرّت من عينيها دمعة حزينة .. لقد مرت ثلاث ساعات منذ غادرت اليخت وحدها .. ليتها بقيت مع (أدهم) .. لقد ضحّى بحياته لإنقاذها .. لقد فكّرت فى العودة إليه ولكن أوامره كانت حازمة ، ألّا تعود إلى اليخت مهما كانت الظروف ، وهى لا تريد إفساد خطته .. ثم إنه أمرها بالعودة إلى الفندق فور وصولها إلى الميناء ، ولكنها لم تستطع ، فهى لا تعرف مصير (أدهم) ، ولقد مرّت ثلاث ساعات كاملة ، شعرت بقلبها ينفطر حزنًا .. ثم غمرها فجأة شعور بالسعادة الغامرة ، عندما جاءها صوت مألوف يتحدث بالعربية قائلًا :

ـ لماذا لم تعودى إلى الفندق فى الحال كما أمرتك أيتها الملازم ؟

كادت (منى) تقفز من الفرح ، عندما التفتت فوجدت (أدهم) واقفًا خلفها بهدوء ، مرتديًا ملابس جافة أنيقة ، وملامحه تنم عن الغضب .. صرخت (منى) فرحة :

ـ حمدًا لله على سلامتك يا سيادة الـ ....

قاطعها (أدهم) قائلًا بقسوة :

ـ لماذا لم تنفذى الأوامر أيتها الملازم ؟

لم تشعر (منى) بالغضب من لهجته هذه المرة ، وإنما قالت باسمة :

ـ أريد الاطمئنان عليك أولًا يا سـ ...

عاد (أدهم) يقاطعها بغضب قائلًا :

ـ هذه هى مشكلة العمل مع الفتيات .. إنهنّ يغلّبن العواطف على الأوامر .. لو أننى كنت أعمل مع رجل لنفّذ الأمر فى الحال ، غير ملتفت لما أقوم به .

ثم أشار إليها أن تتبعه إلى السيارة .. وفى الطريق سألته باهتمام :

ـ كيف نجوت منهم يا سيادة المقدم ؟

أجابها (أدهم) وهو يستقل السيارة :

ـ سأقصّ عليك هذا فيما بعد .. المهم أننى كنت سعيد الحظ عندما أحضرت معى حلّة احتياطية ، وإلا كنت اضطررت للذهاب إلى الفندق وملابسى تقطر ماء .

ابتسمت (منى) بخبث وقالت :

ـ هذا يعنى أن عدم إطاعتى للأوامر جاء مفيدًا ، يا سيادة المقدم .

وبدلًا من أن يجيبها (أدهم) ضغط دوّاسة البنزين ، وانطلق بالسيارة بقوة .. وفى نفس هذه اللحظة على ظهر اليخت الخاص بالدكتور (ألفريد) .. ابتسم (حاييم) ابتسامة خبيثة وهو يقول :

ـ ها قد نجحنا فى التغلّب على المعسكر الشرقى .. فى هذه المعركة على الأقل .

التفت إليه (جيمس) بغضب ، وقال وهو يدس مسدسه فى سترته :

ــ ولكن هذا كلفنا رفيقىّ وأربعة رجال من رجالك الخمسة .

ضحك (حاييم) ضحكة صفراوية وقال :

ــ لا عليك يا صديقى .. المهم أننى .. أقصد أننا على قيد الحياة .. وأمامنا فرصة جديدة للحصول على التصميم .

نظر إليه (جيمس) بدهشة وقال :

ــ ألم تقل منذ دقائق أنك واثق أن الخريطة الملاحية كانت تحتوى على السرّ ، ما دام هذا المصرى قد خاطر بحرقها ؟

ابتسم (حاييم) ابتسامة خبيثة وقال :

ــ بلى .. ولكن هذا الشيطان المصرى لن يخبرنا بالسرّ ، ويحرق الخريطة أمامنا ما لم يكن متأكدًا أنه قد التقط لها صورة واضحة ، باستخدام كاميرا دقيقة فى ساعته مثلًا .

حدّق (جيمس) فى وجهه برهة ، ثم تمتم :

ــ يا لك من ثعلب خبيث !!

أوقف (أدهم) سيارته أمام مبنى الفندق ، وقال لـ (منى) :

ــ عليك بإعداد حقيبتينا وانتظارى .. علىّ مهمة أريد القيام بها قبل العودة إلى مصر .

أسرعت (منى) إلى جناحها ، فحزمت حقيبتها بسرعة ، ثم ذهبت إلى جناح (أدهم) ، وأعدت حقيبته وحملتها متوجهة إلى باب الجناح ، عندما فتح فجأة ، ووجدت نفسها أمام (حاييم) ، الذى قال بابتسامة خبيثة :

ــ إلى أين يا فتاتى ؟ هل حان وقت الرحيل ؟

ومن خلفه ظهر (جيمس) وأحد رجال (حاييم) ، وهما يصوّبان إليها مسدسيهما ..

وضعت (منى) الحقيبة على الأرض باستسلام ، ثم ضمت ساعديها ، على حين دخل الرجال الثلاثة إلى

الجناح ، وأغلقوا الباب ، وجلس (حايم) على مقعد قريب ، وأشعل سيجارًا فخمًا وقال :

ـــ أين زميلك الشيطان ؟ هل ذهب لإحضار تذاكر الطائرة ؟

ابتسمت (منى) ابتسامة باهتة وقالت :

ـــ لقد ذهب يحجز لك مكانًا فى الجحيم .

هبَّ (حايم) واقفًا ، وصفعها على وجهها بقوة صفعة آلمتها ، وقال وهو يشاهدها تمسح خيطًا من الدماء سال من زاوية شفتيها :

ـــ لولا أننى أنوى الاحتفاظ بك كرهينة ، لقتلتك على هذه العبارة .

ابتسمت (منى) برغم ألمها وقالت :

ـــ هل تتسم بالشجاعة دائمًا عندما تهاجم الفتيات ؟

قطَّب (حايم) حاجبيه ، وضغط على أسنانه غيظًا ، ورفع قبضته ، ولكن (جيمس) أوقفه قائلًا :

ـــ توقف أيها الثعلب العجوز .. لم نحضر إلى هنا لتعذيب هذه الفتاة .

حدقها (حايم) بنظرة غاضبة ، ثم جلس ساكتًا ، وفجأة انتفض على صوت طرقات متتالية على باب الحجرة .. إشار إليهم (جيمس) بالصمت ، ثم توجه إلى الباب ، وسأل بحذر :

ـــ من الطارق ؟

أتاه صوت فرنسى يقول :

ـــ (جان ديلون) .. جاركم فى الجناح المجاور .. هل هناك متاعب ؟.. هناك بعض الضوضاء فى جناحكم .

قفز (حايم) وقال بصوت منخفض :

ـــ أدخل هذا الرجل .. إنه رجل مخابرات منافس .. سنعتقله هنا .

فتح (جيمس) الباب وهو يصوِّب مسدسه إلى الرجل الضخم البدين ، الأشقر الشعر ، الذى رفع

حاجبيه دهشة عندما شاهد مسدسًا مصوّبًا إلى وجهه .. ثم أطاع إشارة (جيمس) ودخل إلى الجناح ..

ابتسم (حاييم) وهو ينظر إلى الرجل البدين بعينيه الضيقتين ويقول :

ـ ها قد سقطت المخابرات الفرنسية أيضًا فى قبضتنا .. لو قضينا على (أدهم صبرى) ، نكون قد ربحنا السباق .

نظر إليه (جيمس) بدهشة وقال :

ـ ولكن .. معلوماتنا تؤكد أن المخابرات الفرنسية لم تشترك فى هذا السباق أيها الثعلب العجوز .

قطّب (حاييم) حاجبيه ، ونظر إلى الفرنسى البدين وقال :

ـ من أنت إذن أيها الرجل ؟ .. تكلّم فى الحال وإلا أطلقت عليك النار فورًا .

* * *

١٢ ـ الجولة الأخيرة ..

صاح الرجل الفرنسى البدين بلهجة استعطاف :

ـ رحماك يا سيّدى !! ما أنا إلا صحفى مسكين ..

ضاقت حدقتا (حاييم) وقال بدهشة :

ـ صحفى ؟.. وعلام تبحث ؟

قال الفرنسى بتوسُّل :

ـ أبحث عن أخبار حول مصرع الدكتور (ألفريد) .. الرحمة يا سيّدى !! لا تطلق علىّ الرصاص .

أزاحه (حاييم) بقدمه ، على حين صاح (جيمس) بضيق :

ـ هل رأيت أفكارك الحمقاء ؟ لقد أضفت مشكلة جديدة إلى متاعبنا أيها الثعلب العجوز .

ابتسم (حاييم) بارتباك وقال :

ـ لا مشاكل يا مستر (جيمس) .. ما أن يحضر

الضابط المصرى ، حتى نتخلص من الجميع ونحصل على التصميم ، ونغادر المكان بهدوء .

صاح الفرنسى (جان) متوسلًا :

ـ لا ياسيّدى .. أرجوك .. أنا صحفى مسكين .. لن أنطق بكلمة واحدة .. أرجوك .

بصق (حاييم) على وجه الفرنسى البدين وقال :

ـ يا لك من جبان !! قف واستقبل مصيرك كرجل .

اعتدل الفرنسى فجأة ، ومسح البصقة بهدوء ، وقال بصوت مألوف للجميع وبإنجليزية سليمة :

ـ الجبان هو الذى يصفع فتاة أيها الوغد العجوز .

تسمّر (حاييم) من المفاجأة ، وشاهد بذهول الرجل البدين ، وهو يقفز بخفّة تتعارض مع حجمه ، ويوجّه قبضته إلى أنف (جيمس) بقوة ألصقته بالحائط ، وترتفع قدمه لتركل المسدس الذى يمسك به الرجل الثالث ، ثم يعقب ذلك بتوجيه عدة ضربات

متتالية للرجل تفقده وعيه .. وبرشاقة عجيبة على من فى وزنه التقط الفرنسى البدين مسدس (جيمس) الذى سقط على الأرض ، وقفز خطوة إلى الخلف ، وقال بابتسامة ساخرة :

ـ لقد انتهى السباق أيها الوغد العجوز ، وفازت المخابرات المصرية بالكأس .

تمتمت (منى) بذهول :

ـ مستحيل .. حتى أنا لم أعرفك يا سيادة المقدم .. أنت عبقرى فى التنكُّر .. لم أتصوّر لحظة واحدة أن هذا الفرنسى البدين هو المقدم (أدهم صبرى) .. لماذا فعلت ذلك ؟..

أجابها (أدهم) ، وهو يخرج من جانبى فمه قطعتين من المطاط اللين :

ـ إنها لعبة قديمة أيتها الملازم .. يسمونها فى الشطرنج تشتيت الخصم بخلق عدوّ وهمى .. رجل فرنسى كثير الأسئلة بطريقة تثير الشك .

قال (حاييم) وقد زالت دهشته :

ـ وتحمل جواز سفر فرنسى أيضًا ؟ لعبة بارعة من مخابراتكم أيها الضابط .

ابتسم (أدهم) بسخرية وقال :

ـ إنه تحفة من تحف صديقى (قدرى) الفنية .. تتنكّر فى الزىّ الذى يحلو لك ، ويستخرج لك هو جوازًا مزوّرًا به صورتك المتنكّرة .. وهو يفعل هذا ببساطة تستحق الإعجاب .

ثم عقّب وهو يشير إلى (جيمس) والرجل الآخر :

ـ عليك بإحكام وثاقهم أيتها الملازم ، ودعى لى هذا الوغد العجوز .

توجّهت (منى) لتكبّل الرجلين ، على حين رفع (حاييم) ذراعيه ، وقال بذعر ومذلّة :

ـ مستر (صبرى) .. لا تقتلنى .. أرجوك ..

قطّب (أدهم) حاجبيه ، وقال بلهجة قاسية :

ـ لم لا تقف وتستقبل مصيرك كرجل ؟ أليست

هذه كلماتك لى وأنت تبصق على وجهى ؟

كانت (منى) قد انتهت من إحكام وثاق الرجلين .. فألقى (أدهم) بمسدسه ، وانتزع البطانة المطاطية التى كانت توحى ببدانته ، وقال وهو يحدّق فى (حاييم) بعزم :

ـ هأنذا خالٍ من السلاح أيها الوغد العجوز .. هيًا .. أرنى شجاعتك عندما تواجه الرجال ، أم أنك تجيد صفع النساء فقط .

رفع (حاييم) ذراعيه أمام وجهه ، وصاح بتوسّل :

ـ لا يا مستر (صبرى) .. لا .

لكمه (أدهم) لكمة قوية بيمناه وهو يقول :

ـ هذه من أجل صفعتك لزميلتى .

ثم أعقبها بأخرى بيسراه قائلًا :

ـ وهذه من أجل بصقتك على وجهى .

ثم ثالثة فى بطنه وهو يقول :

ـ وهذه أيضًا من أجل بصقتك .

سقط (حاييم) على الأرض ، وأخذ يتأوّه بألم ، فأشار (أدهم) إلى زميلته وقال :

ـ أوثقى هذا الوغد العجوز ، وأحكمى وثاقه .. واحرصى على تكميم أفواههم جميعًا ، ريثما أزيل هذا المكياج .

وما أن انتهت (منى) من عملها ، حتى كان (أدهم) واقفًا أمامها ، وقد ارتدى حلّة سوداء أنيقة ، وصفّف شعره بعناية ، والتقط حقيبته ، وقال وهو ينظر فى ساعته :

ـ أمامنا ساعة واحدة قبل أن تعود بنا الطائرة إلى مصر .. هيّا بنا .

وقبل أن يغادر الغرفة ، استدار إلى (حاييم) ، وقال بلهجة ساخرة :

ـ بالمناسبة أيها الوغد العجوز .. رجال البوليس الإنجليزى سيلقون القبض على موظف الاستقبال بتهمة

التجسُّس .. وبالمناسبة أيضًا ، حاول شراء الجرائد المصرية التى تصدر غدًا بإذن الله .. فستجد فيها حتمًا خبرًا طريفًا حول حصولنا على تصميمات السلاح السرّىّ الجديد .

* * *





١٣ ـ الختام ..

ابتسم مدير المخابرات الحربية ، وهو ينتهى من قراءة التقرير الذى قدمه (أدهم) عن المهمة ، ثم وضعه على المكتب أمامه ، ورفع رأسه إلى (أدهم) الواقف بثبات أمامه وقال :

ـ إذن ، فقد تغلّبت على مخابرات أربع دول أيها المقدم .

قال (أدهم) بهدوء :

ـ لقد ساعدنى الحظ فى ذلك يا سيّدى .

ابتسمت (منى) ، وقالت وهى تختلس النظر إلى (أدهم) :

ـ لا تصدّقه عندما يقول ذلك يا سيّدى .. إن (أدهم صبرى) لا يعتمد كثيرًا على الحظ .

ضحك المدير ، وقال وهو يشير إلى (أدهم) :

ـ أعلم ذلك أيتها الملازم .. أعلمه جيدًا .. فليست

هذه أول مرة أقرأ تقريرًا لهذا الرجل .

هزّ (أدهم) رأسه ، وقال بهدوء :

ـ شكرًا يا سيّدى .. ولكننى أعتقد أنك تجعل الأمر يبدو كبطولة برغم أنها مهمة عادية ، كان يستطيع القيام بها أى ضابط من ضباطنا .

ابتسم مدير المخابرات ابتسامة خبيثة وهو يقول :

ـ مهمة عادية ؟! الانتصار على مخابرات أربع دول تمتاز ثلاث منها بالقوة ، وتمتاز الرابعة بالشراسة والخسّة ، وإحضار التصميم سليمًا إلى هنا ، بعد تصويره بالكاميرا الميكروفيلم المخبأة فى خاتمك .. كل هذا دون أية خسارة على الإطلاق ، وتسمّى هذه مهمة عادية يقوم بها رجل عادى ؟

ثم اعتدل فى مقعده ، وقال :

ـ والآن .. ماذا تريد أيها المقدم ؟.. مكافأة أم علاوة ؟

هزّ (أدهم) رأسه نفيًا وقال :

ـ لا هذا ولا ذاك يا سيّدى .. لقد أدّيت واجبى فقط ، وهذا ما أتقاضى عنه أجرى .

ابتسم مدير المخابرات ، والتفت إلى (منى) وقال :

ـ أما أنت أيتها الملازم ، فهذا التقرير الذى أمامى يشير إلى تقدُّمِكِ الرائع فى عالم المخابرات .. المقدم (أدهم صبرى) يصفك فى تقريره بأنك كنت أكثر من ممتازة فى هذه المهمة ، وأن تعاونك كان فعّالًا .. وعندما يضع (أدهم) تقريرًا مثل هذا عن فتاة ، فهذا يعنى أنها بالضرورة كذلك ؛ لأنه لا يعرف المجاملة فى العمل إطلاقًا .

خفضت (منى) وجهها أرضًا بخجل ، وتمتمت :

ـ شكرًا يا سيّدى .. هذا تقدير أعتز به .

بعد دقائق قليلة كان (أدهم) يدخل إلى الغرفة رقم (سبعة) ، وهو يقول مبتسمًا :

ـ مرحبًا أيها البدين .. ألم تتوقّف عن استثمار وزنك بعد ؟

قهقه (قدرى) ضاحكًا ، وقام يصافحه وهو يقول :

ـ حمدًا لله على سلامتك يا صديقى .. هل انتهيت من مهمتك بهذه السرعة ؟

ابتسم (أدهم) ، وناوله جواز السفر الفرنسى وهو يقول :

ـ نعم .. ولقد ساعدتنى تحفتك هذه فى مهمتى يا صديقى البدين .

تناول (قدرى) الجواز وهو يضحك قائلًا :

ـ أنت أيضًا كنت بدينًا هذه المرة أيها الرجل .

ثم نظر إلى صورة (أدهم) ، المتنكِّر فى شكل الفرنسى البدين (جان ديلون) ، وقال :

ـ هل تعلم أننى سأضم هذه الصورة إلى متحفك الخاص عندى .

نظر إليه (أدهم) بتساؤل ، فتابع قائلًا :

ـ لقد أعددت مُتْحفًا خاصًا لتنكُّرك المتقن ، وأطلقت عليه اسم (مُتْحف رجل المستحيل) .

* * *

(تمت بحمد الله)